

الكتاب الجامع للفضائل

(٥٥)

فضل وأداب الدعاء

الشيخ/ ندا أبو أحمد



فضل وآداب الدعاء

مَهَيِّدٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧١، ٧٠)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله - تعالى -، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

معنى الدعاء:

أقسام الدعاء:

فضل الدعاء:

- ١- الدعاء عبادة
- ٢- الدعاء أكرم شيء على الله:
- ٣- أن الدعاء طاعة لله وامتنال لأمره عز وجل:
- ٤- الدعاء يجعل العبد في معية الله تعالى الخاصة:
- ٥- الدعاء سبب لدفع غضب الله تعالى:
- ٦- الدعاء دليل على التوكل على الله:
- ٧- الدعاء يرد القضاء ويُدفع به البلاء بإذن رب الأرض والسماء:
- ٨- الدعاء سبيل للسلامة من الكبر في الدنيا، والعذاب في الآخرة:
- ٩- الدعاء لا يهلك معه أحد:
- ١٠- الدعاء سبب لتفريج الكرب:
- ١١- الدعاء دليل على الكياسة ورجحان العقل والسلامة من العجز.
- ١٢- الدعاء روح العبادة، وأصل الدين:
- ١٣- الدعاء شعار الأنبياء والمرسلين، وسبيل النجاة والفوز في الدنيا ويوم الدين:
- ١٤- الدعاء شعار عباد الله المتقين:
- ١٥- الدعاء واستخراج مكنون العبودية:
- ١٦- الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله، ورفع بعد نزوله:
- ١٧- الدعاء مَفْرَعُ المظلومين، وملجأ المستضعفين:
- الدعاء دليل على سمو النفس، وعلو الهمة:
- ١٩- الدعاء يفتح للعبد باب المناجاة ولذائدها:
- ٢٠- الدعاء سبب لحصول المودة بين المسلمين:
- ٢١- الدعاء سبب لانشرح الصدر:
- ٢٢- الدعاء سبب للثبات والنصر على الأعداء:
- ٢٣- تُنصر هذه الأمة بدعوة الضعفاء:
- ٢٤- الدعاء دليل على الإيمان بالله، والاعتراف له بالربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات:
- ٢٥- الدعاء سبب لمغفرة الذنوب:
- ٢٦- وأخيراً: الدعاء وصية النبي ﷺ لأُمته:
- ٢٧- الدعاء مفتاح السعادة، وأصل كل خير:

آداب الدعاء:

- ١- الإخلاص في الدعاء:
- ٢- التوبة والرجوع إلى الله تعالى، ورد المظالم:
- ٣- تحري الحلال، وتجنب الحرام:
- ٤- الإقرار بالذنب، والاعتراف بالخطيئة:

- ٥- حضور القلب عند الدعاء: ٥- الوضوء عند الدعاء - إن أمكن -:
- ٧- استخدام السواك عند إرادة الدعاء ٨- رفع الأيدي في الدعاء:
- ٩- استقبال القبلة: ١٠- يفتح الدعاء بالثناء على الله تعالى، ثم يصلي على النبي ﷺ:
- ١١- الدعاء بتضرع، وخشوع، وتبتل، وتذل، ومسكنة، ورغبة ورهبة:
- ١٢- أن يكون غرض الداعي جميلاً حسناً: ١٣- البكاء-إن استطاع- حال الدعاء:
- ١٤- الافتقار إلى الله تعالى، والتبرؤ من الحول والقوة:
- ١٥- أن يسأل الله تعالى باسمه الأعظم: ١٦- ألا يعتدى في الدعاء:
- ١٧- خفض الصوت، والإسرار بالدعاء:
- ١٨- أن يجزم بالدعاء، ويعزم المسألة، ويوقن بالإجابة:
- ١٩- الإكثار من الدعاء في الرخاء: ١٧- الإلحاح على الله في الدعاء:
- ٢١- الدعاء للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات:
- ٢٢- إذا دعا لغيره فليبدأ بالدعاء لنفسه أولاً: ٢٣- إذا سأل الله فليُعظم المسألة:
- ٢٤- الدعاء بالأدعية المأثورة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المباركة:
- ٢٥- أن يتخير جوامع الدعاء: ٢٦- أن يتخير لدعائه أوقات وأحوال الإجابة:
- ٢٧- الأخذ بأسباب الإجابة: ٢٨- ألا يشغله الدعاء عن ترك واجب:
- ٢٩- عدم استعجال إجابة الدعاء: ٣٠- أن يسأل الله تعالى من خيري الدنيا والآخرة:
- ٣١- أن يسأل الله كل صغيرة وكبيرة: ٣١- أن يحسن الظن بربه:
- ٣٣- الإكثار من الدعاء: ٣٤- أن يُعظم الرغبة في الدعاء، فيدعو الله بمعالي الأمور:
- ٣٥- الإكثار من النوافل: ٣٦- أن يقول لمن أسدى معروفًا: جزاك الله خيرًا:
- ٣٧- التأمين على الدعاء من المستمع:

بدع ومخالفات الدعاء:

- ١- دعاء غير الله -عز وجل-:
- ٢- التغني في الدعاء:
- ٣- الاعتداء في الدعاء:
- ٤- الدعاء على النفس أو الولد أو المال:
- ٥- الدعاء بإثم أو قطيعة رحم:
- ٦- البخل في الدعاء؛ وعدم تعميمه ليشمل كافة المسلمين:
- ٧- الدعاء مع غفلة القلب:
- ٨- الدعاء بالموت لنزول ضر أو مصيبة:
- ٩- الدعاء بأمر قد فرغ منه:
- ١٠- لا يدع الداعي ربه بقوله: يا سيدي:
- ١١- مسح الوجه بعد الدعاء:
- ١٢- رفع الرأس عند الدعاء في الصلاة:

- ١٣ - السجع في الدعاء: ١٤ - اللحن في الدعاء:
 ١٥ - الدعاء باستعجال العقوبة في الدنيا: ١٦ - الدعاء بشيء مستحيل:
 ١٧ - اختراع أدعية والمواظبة عليها، والعدول عن الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ:

موانع استجابة الدعاء:

- ١ - ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
 ٢ - ترك الطاعات والوقوع في المعاصي والسيئات:
 ٣ - أمور ثلاثة ذكرها النبي ﷺ:
 ٤ - أكل الحرام وشربه ولبسه.
 ٥ - الدعاء بإثم أو قطيعة رحم.
 ٦ - استعجال الإجابة.
 ٧ - الاعتداء في الدعاء.
 ٨ - عدم حضور القلب.

أوقات يُستجاب فيها الدعاء:

- ١ - الثلث الأخير من الليل حتى يطلع الفجر (وقت السحر):
 ٢ - ساعة من الليل، وذلك كل ليلة:
 ٣ - إذا انتصف الليل (جوف الليل الآخر):
 ٤ - عند الأذان للصلوات المكتوبة:
 ٥ - عند إقامة الصلاة:
 ٦ - بين الأذان والإقامة:
 ٧ - عند قول الإمام في الفاتحة "ولا الضالين":
 ٨ - عند السجود في الصلاة:
 ٩ - دُبُر الصلوات المكتوبة:
 ١٠ - دعاء يوم عرفة في عرفة:
 ١١ - دعاء يوم عرفة في غير عرفة:
 ١٢ - ساعة الإجابة من يوم الجمعة:
 ١٣ - كل يوم وليلة في شهر رمضان:
 ١٤ - ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر:
 ١٥ - عند الاستيقاظ من النوم ليلاً:
 ١٦ - عند شرب ماء زمزم:
 ١٧ - عند نزول المطر، وعند التقاء الجيوش:
 ١٨ - عند حضور المريض أو الميت:
 ١٩ - عند صياح الديكة:

أوقات وأحوال تفتح عندها أبواب السماء

- ١ - عند كل أذان:
 ٢ - الوقت قبل الظهر:
 ٣ - صلاة أربع ركعات قبل الظهر:
 ٤ - الصلاة بعد الزوال:
 ٥ - عند انتظار الصلاة:
 ٦ - عند إقامة الصلاة:
 ٧ - عند منتصف الليل:
 ٨ - عند الثلث الأخير من الليل:

- ٩- عند قولك في استفتاح الصلاة: " الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً ".
 ١٠- عند قولك في الصلاة: " الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ":
 ١١- عند قولك: " لا إله إلا الله "، بإخلاص:
 ١٢- دعاء المظلوم:
 ١٣- عند حضور الصلاة، والجهاد في سبيل الله:
 ١٤- يومي الاثنين والخميس:
 ١٥- عند حلول شهر رمضان:
 ١٦- عند خروج روح المؤمن:

أصحاب الدعوات المستجابة:

- ١- دعوة الصائم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده أو عليه:
 ٢- دعوة الصائم حين فطره:
 ٣- دعوة المظلوم:
 ٤- دعوة الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر:
 ٥- دعوة الإمام العادل، والذاكر الله كثيراً:
 ٦- دعوة المتبذل المتواضع المستكين:
 ٧- الدعاء باسم الله الأعظم:
 ٨- دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب:
 ٩- دعوة العبد المطيع المحافظ على أوامر الله:
 ١٠- من دعا بدعوة ذي النون (يونس عليه السلام):
 ١١- دعوة الولد البارّ لوالديه بعد وفاتهما:
 ١٢- دعوة المضطر:

الله تعالى لا يرد سائلاً، فإنه سبحانه سميع مجيب.

الرسول والأنبياء كانوا يلجأون إلى سامع الدعاء وكاشف كل بلوى:

والصالحون كذلك يتوجهون إلى رب العالمين فيحقق لهم الخير، وينجيهم من كل كرب، ويؤمنهم من كل خوف، ويشفهم من كل مرض، ويكشف عنهم كل همّ وحزن وبلاء.

جوامع الدعاء من القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة

- أدعية لتفريج الهموم، والغموم، والحزن، والكرب - أدعية لسداد الدين أو غلبته:
 سؤال الله العافية ودوامها - الدعاء في السفر - أدعية لسلامة القلب وشفائه:
 سؤال الله الجنة، والاستعاذة من النار - أدعية لبعض السلف - الدعاء للمسلمين:
 الدعاء للمريض - الدعاء للميت - الدعاء للفقراء والمساكين وأصحاب الحاجات:
 الدعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب - الدعاء لمن أراد سفرًا - الدعاء لمن أحسن إليك:

فضل وآداب الدعاء

مقدمة:

الدعاء له منزلة عظيمة في الإسلام، فهو من أعظم العبادات وأشرفها؛ لأنه يظهر حاجة الإنسان وافتقاره إلى مولاه، فالعبد يسأل ربه سبحانه وتعالى جلب نفع، أو دفع ضرر، لأنه يعلم يقيناً أن الله تعالى بيده مقادير كل شيء، فيتعلق قلبه به، ويقبل عليه، ولهذا فهو من أفضل العبادات التي يحبها رب الأرض والسموات.

فقد اخرج الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ:
" أفضل العباداة الدعاء، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ " (صحيح الجامع: ١١٢٢) (الصحيحة ١٥٧٩)

فالدعاء أفضل العباداة؛ لأن الدعاء دليل على عبودية العبد لمولاه سبحانه، وهو ملاذ المؤمنين، ومتنفس المكروبين، وترياق المهمومين، وسلم المذنبين للوصول إلى رب العالمين، وهو طريق المحتاجين، وباب يقف عنده المضطرون، وهو شعار الأنبياء والصالحين، وملجؤهم الذي يفزعون إليه إذا حزبه أمر، وألم بهم هم، أو أبطأ عليهم نصر، وبه تستجلب الخيرات، ويدفع به الشرور والآفات، وهو سبب لانسراح الصدر، وتفريج الهم، وزوال الغم، وتيسير الأمور، وبه تستنزل الرحمات، وهو سلاح المؤمن عند نزول الكربات. فالدعاء تذلل وخضوع، وإخبات وانطراح على باب الكريم سبحانه، وحقيقة الدعاء إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله، وإضافة الكرم والجود إليه. (انظر شأن الدعاء للحافظ الخطابي - رحمه الله -)

معنى الدعاء:

الدعاء في اللغة: هو النداء؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذِ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ (مريم: ٢، ٣)

والدعاء كما تقول المعاجم يشتمل على معان مجملها: العبودية لله لأن فيه الرغبة إلى من تدعو، والاستعانة به، والاحتياج إليه، والطلب منه، وكلها معان تدل على عبودية المرء لربه، واحتياجه إليه، وأنه لا غنى له عنه طرفة عين.

الدعاء في الاصطلاح:

قال الطيبي - رحمه الله -: " هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له " (فتح الباري: ٩٥/١١)
وقال المناوي - رحمه الله -: " هو لسان الافتقار بشرح الاضطرار " .

فالدعاء هو روح هذا الدين، وزاد المؤمنين المتقين، وعنوان التذلل والخضوع لرب العالمين.

أقسام الدعاء:

الدعاء في القرآن الكريم يتناول معنيين: الأول: دعاء العبادة، والآخر: دعاء المسألة.

أولاً دعاء العبادة: وهو التوجه إلى الله تعالى لذاته محبة وإنابة وطاعة وإجلالاً ونحو ذلك من معاني تألهه وعبادته، ودعاء العبادة يتضمن الثناء على الله بما هو أهله، ويكون مصحوباً بالخوف والرجاء. **ثانياً دعاء المسألة:** وهو التوجه إلى الله تعالى بالنداء والاستغاثة أو الاستعانة أو السؤال؛ بقصد طلب جلب نفع أو دفع ضرر، بإظهار الانطراح بين يديه، والتضرع باللسان إليه، وانعقاد القلب على الرغبة فيما عنده، مع الاعتقاد بأنه لا يجلب النفع ولا يدفع الضرر أحد سواه، فيكون دعاء المسألة بمعنى: قصد المدعو لمسألته وطلب الحاجات منه، ونحو ذلك مما يفعل سبحانه بمقتضى ربوبيته.

(مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: ٤٥٦/٢)

وقد ذكر بعض العلماء فروقاً بين دعاء العبادة والدعاء المسألة، أهمها:

١- أن دعاء العبادة هو الذل والخضوع التام وكمال الطاعة للمدعو، بينما دعاء المسألة يعني طلب نفع أو دفع ضرر.

٢- أن دعاء العبادة مختص بالمؤمنين، بينما دعاء المسألة لا يختص بالمؤمنين. (المصدر السابق: ١٥/١٠)

ولكن عند التحقيق نجد أن هذا التقسيم لا يدل على الانفصال التام بين نوعي الدعاء، كما أنه لا يدل على التضاد بل إن كلا نوعي الدعاء متلازمان يدل أحدهما على الآخر، فالذي يدعو الله دعاء عبادة، فإن دعاء العبادة يدل على دعاء المسألة بطريق الالتزام، لأن العابد لله في الحقيقة سائلٌ لله، وإن كان لا يأتي بلفظ السؤال. (المدخل لدراسة العقيدة للبريكان ص ١٣٠)

قال ابن القيم -رحمه الله- في "تفسيره القيم صفحة ٢٤٠" عنده تفسير قوله تعالى:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥) وَلَا تَسْأَلُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ

اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (الأعراف ٥٥، ٥٦) هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء: دعاء العبادة،

ودعاء المسألة، فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة، وهذا تارة. ويراد به مجموعهما. وهما متلازمان.

فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره، أو دفعه - ومن يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود حقاً - والمعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضرر. ولهذا أنكر الله تعالى على من عبد

من دونه ما لا يملك ضرراً ولا نفعاً، وذلك كثير في القرآن. كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ

وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ (يونس: ١٨)

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ (يونس: ١٠٦)

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (المائدة: ٧٦)

فنفى سبحانه عن هؤلاء المعبودين من دونه النفع والضرر، القاصر والمعتدي. فلا يملكون لأنفسهم ولا لعباديتهم. وهذا في القرآن كثير بين: أن المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضرر، فهو يدعى للنفع ودفع الضرر، ودعاء المسألة، ويدعى خوفا ورجاء، ودعاء العبادة. فعلم أن النوعين متلازمان: فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦) يتناول نوعي الدعاء. وبكل منهما فسرت الآية. قيل: أعطيه إذا سألني. وقيل: أثيبه إذا عبدني. والقولان متلازمان.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠) فالدعاء يتضمن النوعين، وهو في دعاء العبادة أظهر. ولهذا عقبه بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ وقد فُسر الدعاء في الآية بهذا وهذا، وقد روى سفيان عن منصور عن زرّ عن نسيع الكندي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: "إن الدعاء هو العبادة". ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ. إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (رواه الترمذي)

وأما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾

(الحج: ٧٣)

فالمراد به دعاء العبادة، المتضمن دعاء المسألة.

أما قوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (غافر: ١٤) فهذا هو دعاء العبادة. والمعنى: اعبدوه وحده وأخلصوا عبادته، لا تعبدوا معه غيره.

وأما قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُم فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ (القصص: ٦٤) فهذا من دعاء المسألة، ييكتهم الله عز وجل ويخزيهم يوم القيامة بأن يروا أن شركاءهم لا يستجيبون لدعوتهم. وليس المراد اعبدوهم. اهـ باختصار.

فضل الدعاء:

الدعاء له أهمية كبرى، وثمرات جليلة، وفضائل عظيمة، وأسرار بديعة منها:

١ - الدعاء عبادة^(١):

الدعاء عبادة لا تصرف إلا لله تعالى، ومن يدعو غير الله تعالى فقد أشرك.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ"^(٢) ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠) ". (صحيح الجامع: ٣٤٠٧) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٢٧)

ففي هذه الآية سمي الله تعالى الدعاء: عبادة. والعبادة فيها تذلل وخضوع للمعبود سبحانه، وهذا تجده في الدعاء ففيه إظهار فقر، وحاجة، وتذلل من العبد الفقير الضعيف الذي لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا إلى الله تعالى القادر على جلب جميع المنافع، ودفع جميع المضار.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يونس: ١٠٦، ١٠٧)

والعبد في دُعائه لربه يكون مُعْتَرِفًا بِكَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَيَكُونُ مُقْبِلًا عَلَى اللَّهِ مُعْرِضًا عَنْ غَيْرِهِ، مُسْتَعِينًا بِهِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قال الشوكاني-رحمه الله- في كتابه تحفة الذاكرين ص ٢٨: وقوله ﷺ: "الدعاء هو العبادة": هذه الصفة المقتضية للحصر من جهة تعريف المُسْتَدِإِ إليه ومن جهة التعريف المسند، ومن جهة ضمير الفصل، تقتضي أن الدعاء أعلى العبادات وأرفعها وأشرفها ".

١ - ومما يدل على أن الدعاء عبادة لا تصرف إلا لله تعالى، قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه: (وَأَعِزَّنَا لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَرَاهُمُ مَا يُغِيثُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) (مريم: ٤٨، ٤٩) ويدل على هذا أيضا قول أصحاب الكهف: (رَبَّنَا رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطْنَا) (الكهف: ١٤) قال بعض أهل التفسير في هذه الآية: أي لن نعبد غيره. ويدل على هذا أيضا قوله تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) (الأحقاف: ٥، ٦)

٢ - قال الخطابي رحمه الله وقوله ﷺ: "الدعاء هو العبادة": معنى أنه معظم العبادة، أو أفضل العبادة، كقولهم: الناس بنو تميم، والمال: الإبل، وكقول النبي ﷺ: "الحج عرفة".

٢- الدعاء أكرم شيء على الله:

فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد وابن ماجه والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: " ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء".

(صحيح الأدب المفرد: ٥٤٩) (صحيح الجامع: ٥٣٩٢) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٢٩)

قال المناوي-رحمه الله- في " فيض القدير: ٦/ ٣٦٥": قال الطيبي: وقول النبي ﷺ: " ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء " لدلالته على قدرة الله وعجز الداعي، ولا منافاة بين هذا الحديث والآية:

﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُمْ﴾ (الحجرات: ١٣) لأن كل شيء يشرق في بابه فإنه يوصف بالكرم ". اهـ

قال الشوكاني-رحمه الله- في هذا الحديث: " قيل وجه ذلك أنه يدل على قدرة الله تعالى وعجز الداعي". والأولى أن يقال: أن الدعاء لمّا كان هو العبادة، وكان مخّ العبادة -كما تقدم- كان أكرم على

الله من هذه الحيثية، لأن العبادة هي التي خلق الله سبحانه الخلق لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) (تحفة الذاكرين ص ٣٠)

فالدعاء أكرم شيء على الله؛ لأن الدعاء خضوع لله، فيخضع القلب لعظمته، وتذل النفس لعزته، وتضعف لقوته، فمن كان هذا حاله: الفقر، والخضوع، والذلة لله تعالى فهو كريم على الله.

٣- أن الدعاء طاعة لله وامتنال لأمره عز وجل:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠)، وقال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (الأعراف: ٢٩)، فالداعي مطيع لله، مستجيب لأمره.

٤- الدعاء يجعل العبد في معية الله تعالى الخاصة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: " أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا دعاني ".

فيا لعظم الريح، ويا لجمال العطاء، أن تفوز بمعية الله تعالى الخاصة، والمقصود بها: الحفظ، والكلاء، والرعاية، فأَي فضل بعد هذا الفضل؟

5- الدعاء سبب لدفع غضب الله تعالى:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (الفرقان: ٧٧)

فمن لم يسأل الله يغضب عليه.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّهُ مَنْ لَمْ

يَسْأَلَ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ". (صحيح الجامع: ٢٤١٨) (صحيح الأدب المفرد: ٦٥٨) (الصحيحة: ٢٦٥٤)

وهذا الحديث يدل على أن دعاء الله وسؤاله واجب في الجملة، بحيث إن من ترك دعاء الله بالكلية، فإن الله يغضب عليه، لأنه ترك هذه العبادة العظيمة التي هي الدعاء، ولأن ذلك يشعر بتكبره ودعواه أنه مستغن عن الله غير محتاج إليه.

قال ابن القيم-رحمه الله-: " هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ رِضَاءَهُ فِي سُؤَالِهِ وَطَاعَتِهِ، وَإِذَا رَضِيَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَكُلُّ خَيْرٍ فِي رِضَاهُ، كَمَا أَنَّ كُلَّ بَلَاءٍ وَمُصِيبَةٍ فِي غَضَبِهِ " (الجواب الكافي ص ١٨)

وقال أيضا: "وَالْغَضَبُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى تَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فَعْلٍ مُحْرَمٍ". (جلاء الأفهام ص ٣٥٢)

وقال القاري- رحمه الله- في شرحه لهذا الحديث: " لِأَنَّ تَرْكَ السُّؤَالِ تَكَبُّرٌ وَاسْتِغْنَاءٌ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ لِلْعَبْدِ. قَالَ الطَّبَّيُّ: وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ مِنْ فَضْلِهِ، فَمَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَبْغِضْهُ، وَالْمَبْغُوضُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ لَا مَحَالَةَ " (انتهى من مرقاة المفاتيح: ٤/ ١٥٣٠)

ففي الحديث السابق دليل على أن الدعاء من العبد لربه من أهم الواجبات، وأعظم المفروضات، لأن تجنب ما يغضب الله منه لا خلاف في وجوبه. (انظر تحفة الذاكرين للشوكاني ص ٣١).

ولقد أحسن من قال:

لا تسألنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً	وسل الذي أبوابه لا تحجبُ
الله يغضبُ إن تركت سؤاله	وبُنَيَّ آدَمَ حين يُسألُ يغضبُ

6- الدعاء دليل على التوكل على الله:

فَسِرُّ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَحَقِيقَتُهُ هُوَ اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ. وَأَعْظَمُ مَا يَتَجَلَّى التَّوَكُّلُ حَالِ الدَّعَاءِ، ذَلِكَ أَنَّ الدَّاعِيَ حَالُ دَعَائِهِ مُسْتَعِينٌ بِاللَّهِ، مَفُوضٌ أَمْرُهُ إِلَيْهِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ، ثُمَّ إِنَّ التَّوَكُّلَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالْقِيَامِ بِالْأَسْبَابِ الْمَأْمُورِ بِهَا، فَمَنْ عَطَّلَهَا لَمْ يَصِح تَوَكُّلُهُ، وَالدَّعَاءُ مِنْ أَعْظَمِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَعْظَمَهَا.

٧- الدعاء يرد القضاء ويدفع به البلاء بإذن رب الأرض والسماء:

فقد أخرج الإمام والترمذي من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يردُّ القضاء إلاَّ بالدَّعاء، ولا يزيدُ في العمرِ إلاَّ البرُّ ". (صحيح الجامع: ٧٦٨٧) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٣٩)

وأخرجه ابن ماجه عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ بلفظ: " لا يزيدُ في العمرِ إلاَّ البرُّ ولا يردُّ القدرَ إلاَّ بالدَّعاء ". (صحيح ابن ماجه: ٧٣) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٣٨) (الصحيحة: ١٥٤)

قال الشوكاني-رحمه الله- عن هذا الحديث: " فيه دليل على أنه سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وقد وردت بهذا أحاديث كثيرة ". (تحفة الذاكرين ص ٢٩).

وقال أيضًا: " والحاصل أن الدعاء من قدر الله عز وجل فقد يقضي على عبده قضاءً مقيداً بأن لا يدعوه، فإذا دعاه اندفع عنه ". (تحفة الذاكرين ص ٣٠).

فالله سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعْدَهُ أَمَّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٣٩)

وأخرج الطبراني في الأوسط والحاكم والبيهقي من حديث عائشة أم المؤمنين-رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " لا يُغني حذرٌ من قدرٍ، والدُّعاءُ ينفعُ ممَّا نزل وما لم ينزل، وإنَّ البلاءَ لينزل فيلقاه الدُّعاءُ فيعتلجان^(١) إلى يومِ القيامة^(٢) ". (صحيح الجامع: ٧٧٣٩)

فالدعاء يرد القضاء ويدفع به البلاء ويمنع نزوله، أو يخففه إذا نزل.

يقول ابن القيم-رحمه الله- في كتابه الداء والدواء ص ١٤: " والدُّعاءُ، مِنْ أَفْوَى الْأَسْبَابِ فِي دَفْعِ الْمَكْرُوهِ، وَحُصُولِ الْمَطْلُوبِ، وَلَكِنْ قَدْ يَتَخَلَّفُ أَثَرُهُ عَنْهُ، إِمَّا لِضَعْفِهِ فِي نَفْسِهِ - بِأَنْ يَكُونَ دُعَاءٌ لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْعُدْوَانِ - وَإِمَّا لِضَعْفِ الْقَلْبِ وَعَدَمِ إِقْبَالِهِ عَلَى اللَّهِ وَجَمْعِيَّتِهِ عَلَيْهِ وَقَتِ الدُّعَاءِ، فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْقَوْسِ الرَّخْوِ جِدًّا، فَإِنَّ السَّهْمَ يَخْرُجُ مِنْهُ خُرُوجًا ضَعِيفًا، وَإِمَّا لِحُصُولِ الْمَانِعِ مِنَ الْإِجَابَةِ: مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، وَالظُّلْمِ، وَرَيْنِ الذُّنُوبِ عَلَى الْقُلُوبِ، وَاسْتِيْلَاءِ الْعَقْلَةِ وَالشَّهْوَةِ وَاللَّهْوِ، وَغَلَبَتِهَا عَلَيْهَا. وَالدُّعَاءُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ، وَهُوَ عَدُوُّ الْبَلَاءِ، يَدْفَعُهُ، وَيُعَالِجُهُ، وَيَمْنَعُ نُزُولَهُ، وَيَرْفَعُهُ، أَوْ يُخَفِّفُهُ إِذَا نَزَلَ. وَلَهُ مَعَ الْبَلَاءِ ثَلَاثُ مَقَامَاتٍ: أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ أَفْوَى مِنَ الْبَلَاءِ فَيَدْفَعُهُ. الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ أَضْعَفَ مِنَ الْبَلَاءِ فَيَقْوَى عَلَيْهِ الْبَلَاءُ، فَيُصَابُ بِهِ الْعَبْدُ، وَلَكِنْ قَدْ يُخَفِّفُهُ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا. الثَّالِثُ: أَنْ يَنْقَاوَمَا وَيَمْنَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ". اهـ

١ - يعتلجان: أي يتصارعان، ويتدافعان.

٢ - هذا الحديث من طريق زكريا بن منظور الأنصاري وثقه أحمد بن صالح المصري، وضعفه الجمهور، وبقيّة رجاله ثقات، وصححه الالباني في صحيح الترغيب والترهيب، وصحيح الجامع.

٨- الدعاء سبيل للسلامة من الكبر في الدنيا، والعذاب في الآخرة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ أي يستكبرون عن دعائي، فهؤلاء توعدهم الله بالوعيد

الشديد والعذاب الأليم، حيث يدخلون جهنم صاغرين أذلاء.

قال ابن كثير-رحمه الله- عند تفسير هذه الآية:

هَذَا مِنْ فَضْلِهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَكَرَمِهِ أَنَّهُ نَدَبَ عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِهِ، وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ، كَمَا كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ: يَا مَنْ أَحَبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سُؤْلَهُ، وَيَا مَنْ أَبْغَضُ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرُكَ يَا رَبِّ. (رواه ابن أبي حاتم). وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الشَّاعِرُ:

اللهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤْلَهُ وَبُنِيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وأخرج الإمام أحمد عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ" ثُمَّ قَرَأَ:

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾. (رواه أصحاب السنن وابن أبي حاتم)

وأخرج الإمام أحمد عن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، غَضِبَ عَلَيْهِ". - وفي رواية: "مَنْ لَا يَسْأَلُهُ يَغْضَبُ عَلَيْهِ".

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ أي: عَنْ دُعَائِي وَتَوْحِيدِي، ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أي:

صَاغِرِينَ حَقِيرِينَ، كَمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "يُخْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ، فِي صُورِ النَّاسِ، يَغْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ - يُقَالُ لَهُ: بُؤْسٌ - تَغْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ: غُصَاةَ أَهْلِ النَّارِ". اهـ. (مختصر تفسير ابن كثير: ٣/٢٨٥)

قال الشوكاني-رحمه الله- في كتابه تحفة الذاكرين ص ٢٨ معلقاً على الآية السابقة:

"والآية الكريمة دلت على أن الدعاء من العبادة، فإنه سبحانه وتعالى أمر عباده أن يدعوه، ثم قال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة، وأن ترك دعاء الرب سبحانه استكبار، ولا

أقبح من هذا الاستكبار، وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالق له، ورازقه، وموجده من العدم،

وخالق العالم أجمع، ورازقه، ومحبيه، ومميته، ومثييه، ومعاقبه؟! فلا شك أن هذا الاستكبار طرف من

الجنون، وشعبة من كفران النعم". اهـ

٩- الدعاء لا يهلك معه أحد:

فقد أخرج ابن حبان والحاكم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تَعْجِزُوا فِي الدُّعَاءِ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ ".

(ضعفه الألباني في ضعيف الجامع وصححه المنذري في الترغيب والترهيب، والشوكاني في الفتح الرباني)

وصدق الحبيب النبي ﷺ ففي الدعاء فوائد عظيمة وثمرات جلييلة، تظهر في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد والبيزار وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعْجَلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخَرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، قَالُوا: إِذَا نُكْثِرُ. قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ " (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٣٣) (صحيح الأدب المفرد: ٥٤٧)

وقول النبي ﷺ: " اللَّهُ أَكْثَرُ " أي: فعطاؤه أكثر عند كل دعوة أراد بها العبد الخير، فمهما أكثر العباد من الدعاء فعطاؤه لا ينفد، ولا ينتهي، بل هو عطاء كثير غير محدود. قال ابن عبد البر-رحمه الله- في "التمهيد" عند هذا الحديث: " فيه دليل على أنه لا بد من الإجابة على إحدى هذه الأوجه الثلاثة ". اهـ.

وأخرج الترمذي من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بمأثم، أو قطيعة رجم فقال رجل من القوم: إذا نُكْثِرُ، قال الله أكثر ".

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من مسلم ينصب وجهه لله عز وجل في مسألة إلا أعطاه إياه، إما أن يُعْجَلَها له، وإما أن يَدْخَرَهَا له في الآخرة ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٣٢)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل، أو كف عنه من السوء مثله، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رجم " (صحيح الجامع: ٥٦٧٨) ففيمضى من الأحاديث دليل على أن دعاء المسلم لا يهمل، بل يعطى ما سأل، إما معجلاً، وإما مؤجلاً، تفضلاً من الله جل وعلا. (انظر تحفة الذاكرين ص ٣٣).

قال ابن حجر-رحمه الله-: والإجابة تتنوع، فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع ولكن يتأخر لحكمة، وتارة قد تقع الإجابة ولكن بغير عين المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة، وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها " (فتح الباري: ٣٤٥/١١)

وقال أيضاً-رحمه الله: " إنَّ كلَّ داعٍ يُسْتَجَابُ له، لكن تتنوع الإجابة فتارة تقع بعين ما دعا به وتارة بعوض " (فتح الباري: ٩٥/١١).

١٠- الدعاء سبب لتفريج الكرب:

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾

(النمل: ٦٢)

ولا أدل على ذلك أيضاً من قصة أصحاب الغار الذين حُبسوا في غار في الجبل ولم ينجهم من هذا الكرب؛ إلا الدعاء والتوسل إلى الله بأعمالهم الصالحة.

فقد اخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

" انْطَلَقَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوُوا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَأَنْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَسَدَتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَأَنَّى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرَخْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لهما غُبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَازَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غُبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ. فَأَنْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَأَمْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السَّنِينَ، فَجَاءَتْني، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةً دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لَا أَجِلُ لَكَ أَنْ تَفْضُضَ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَأَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أُعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَأَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي! فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَأَقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَأَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ "

قال القاضي حسين- رحمه الله-: " يستحب لمن وقع في شدة أن يدعو بصالح عمله "

(الأذكار للنووي ص ٦١٢)

وصدق القائل حيث قال:

عليَّ فما ينفكُّ أن يتفرجا
أصاب له في دعوة الله مخرج

وإني لأدعو الله والأمر ضيق
ورُبُّ فتى ضاقت عليه وجوهه

(عيون الأخبار لابن قتيبة: ٢/٢٨٧)

١١ - الدعاء دليل على الكياسة ورجحان العقل والسلامة من العجز:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ، وَإِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخَلَ بِالسَّلَامِ".

(رواه المقدسي في كتاب الدعاء) (الصحيحة: ٦٠١)

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخَلَ بِالسَّلَامِ وَأَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ".

(صحيح الجامع: ١٥١٩) (الصحيحة: ٦٠١)

والدعاء أمره يسيرٌ على كلِّ أحدٍ، فهو لا يتطلب جهدًا عند القيام به، ولا يلحق الداعي بسببه تعبٌ ولا مشقةٌ، ولهذا فإنَّ العجزَ عنه والتواني في أدائه هو أشدُّ العجز، وحرِيٌّ بِمَنْ عجز عنه مع يسره وسهولته أن يعجز عن غيره، ولا يعجزُ عن الدعاء إلاَّ دنيُّ الهمةِ ضعيفُ الإيمان.

أضف لهذا أن من يبخل على نفسه بالدعاء لا سيِّما عند الشدائد، كأنه في غنى عن الله تعالى، وأنه لا حاجة له فيما عنده سبحانه، وأنه يعتمد على ذكائه أو قوته أو ماله في جلب نفع أو دفع ضرر - كما يعتقد - فهذا الإنسان من أعجز الناس، وإن ظن نفسه بخلاف ذلك، فهو أضعف الناس رأيًا، وأدناهم همة، وأعماهم بصيرة، فهذا شأن من ترك الدعاء، فإنَّ الدعاء عبادةٌ لله عزَّ وجلَّ، فمن تركه كان أعجزَ الناس؛ لِتَرْكِهِ ما أمره الله به، حيثُ سَمِعَ قَوْلَ رَبِّهِ: **(ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)** [غافر: ٦٠]، فلم يدعُ مع فاقته وحاجته إليه! والله سبحانه وتعالى لا يُخَيِّبُ مَنْ سألَه واعتمدَ عليه، فمن تركَ طلبَ حاجاته من الله تعالى مع ذلك، فهو أعجزُ العاجزين.

ومفهوم المخالفة للحديث أن الذي يدعو ويكثر من الدعاء هو من أكيس الناس، وأرجحهم عقلًا.

١٢ - الدعاء روح العبادة، وأصل الدين:

مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ".

وفي هذا الحديث يقول النَّبِيُّ ﷺ: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ"، أي: من أجله تكونُ العبادة؛ لأنَّ العبدَ في دُعائه لربه يكونُ مُعْتَرِفًا بِكَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ وَأُلُوْهِيَّتِهِ، وَيَكُونُ مُقْبِلًا عَلَى اللَّهِ مُعْرِضًا عَنْ غَيْرِهِ. وقد سَمَى الله الدعاء دينًا في كثير من الآيات؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (العنكبوت: ٦٥)

وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (غافر: ١٤) ففي هذه الآيات تجد أن رب العالمين ذكر كلمة "الدين" موضع كلمة "الدعاء"، وكأن الأصل: "فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ" وكذلك في الآية الأخرى، لكنه سبحانه وتعالى قال: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ وهذا يدل على أن الدعاء هو قلب

الدين وروح العبادة. (القواعد الحسان للسعدي - رحمه الله - ص ١٥٥ بتصرف)

١٣- الدعاء شعار الأنبياء والمرسلين، وسبيل النجاة والفوز في الدنيا ويوم الدين:

- فهل اجتبى الله آدم عليه السلام وتاب عليه وهده، إلا بعد أن تلقى آدم من ربه كلمات فدعاه بها!! وهل فتحت أبواب السماء بماء منهمر، وفُجِّرَت الأرض عيوناً، فالتقى الماء على أمرٍ قد قُدِّرَ، وحمل نوح -عليه السلام- على ذات ألواح ودسر إلا بعد أن دعا ربه ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَاتَّصِرُ﴾ (القمر: ١٠) وكذلك بعد أن دعا فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح: ٢٦)

خليل الله إبراهيم - عليه السلام - هل أنجاه الله من النار إلا بعد قوله: "حسبنا الله ونعم الوكيل". وهل بشر بسلام حليم إلا بعد دعائه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: ١٠٠) وأن أنعم الله عليه وأنجاه وزوجته سارة من الجبار، وكف الله يد الكافر الجبار عنها، إلا بعد دعاء إبراهيم وسارة عليهما السلام؟! وهل نال إبراهيم - عليه السلام - هذه المراتب العالية والثناء الحسن إلا بعد دعائه: ﴿وَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (الشعراء: ٨٤)

ولوط - عليه السلام - هل أنجاه الله، وأهلك أعداءه إلا بعد دعائه: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (الشعراء: ١٩٦) ويونس - عليه السلام - هل أنجاه الله من الغم إلا بعد أن نادى في الظلمات: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧)

وأيوب - عليه السلام - هل كشف الله ما به من ضر^(١) إلا بعد دعائه: ﴿أَنِّي مَسْنِيَ الضَّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣)

وداود - عليه السلام - هل قتل جالوت، وآتاه الله الملك والحكمة، وعلمه مما يشاء إلا بعد أن دعا هو ومن معه من المؤمنين: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٠)

١- وليس معنى ذلك أن الله لا يكشف الضر إلا بعد دعاء العبد، فقد يكشف الله الضر بلا دعاء، وقد ينصر بلا دعاء، وقد يرزق بلا دعاء، ولكن الدعاء من باب الأخذ بالأسباب كما هو معلوم، والله تعالى أعلم.

وسليمان - عليه السلام - هل سخرت له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد؟! وهل أسأل الله له عين القطر، وأفهمه لغة الطير والنمل إلى غير ذلك مما من الله به عليه وأنعم، إلا بعد أن دعا فقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ

أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص: ٣٥)

وزكريا - عليه السلام - هل وهب الله له يحيى وأصلح له زوجه، إلا بعد أن دعا فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٩) وبعد أن دعا فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾

(آل عمران: ٣٨)

وهل حفظ الله مريم وابنها - عليهما السلام - وذهب الشيطان يطعن فطعن في الحجاب، ولم يصيبها بأذى إلا بعد أن دعت أمها فقالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (آل عمران: ٣٦)

ونبينا محمد ﷺ يدعو الله فيقول: "اللهم أعز الإسلام بأحبَّ الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام". فيهدي الله عمر بن الخطاب ﷺ ويبلغ من المكانة في الإسلام مبلغًا عظيمًا.

ويدعو النبي ﷺ لابن عباس - رضي الله عنهما -: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل".

(رواه أحمد)

فيلبغ من العلم مبلغ لا يُباري ولا يُدرك، حتى أن ابن مسعود ﷺ يقول: "لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل". ويقول ابن مسعود أيضًا: "نعم ترجمان القرآن ابن عباس". (رواه ابن أبي شيبة)

وأنس بن مالك ﷺ لما دعا له رسول الله ﷺ بقوله: "اللهم ارزقه مالا وولداً وبارك له". قال: فإني لمن أكثر الأنصار مالا، وحدثني ابنتي أمينة أنه دفن لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة. (رواه البخاري)

١٤ - الدعاء شعار عباد الله المتقين:

قال جلَّ شأنه عن أنبيائه عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال عن عباده الصالحين: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

١٥- الدعاء واستخراج مكنون العبودية:

فالعبد يكثر من الدعاء في الشدائد لحاجته وفقره إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾ (الإسراء: ٦٧) فلا يتعلق العبد في حال الشدة بالأنداد والشركاء والأولياء، وإنما يتعلق بالله وحده، فيعلم أنه الحق وأنه المستحق لهذا التوجه والدعاء.

أخي الحبيب ... ألم يخطر ببالك أن الله ربما يبتليك بالمصائب ليسمع صوتك وأنت تدعوه؟ ويرى فقرك وأنت ترجوه؟

فمن فوائد الابتلاء: استخراج مكنون العبودية في الدعاء، فسبحانه يبتلي ليدعى، فإذا دُعي أجاب، وفي الأثر: أن الله ﷻ ابتلى عبداً من عبادته، وقال للملائكة لأسمع صوته. (يعني بالدعاء والإلحاح) وصدق من قال: ربما صحت الأجساد بالعلل.

فارفع يديك، وأسل دمع عينيك، وأظهر فقرك وعجزك، واعترف بذلك وضعفك

جاء في كتاب الشكر ص ١٣٢ عن وهب بن منبه -رحمه الله- قال: "ينزل البلاء ليستخرج الدعاء وقال سفيان بن عيينة -رحمه الله-: "ما يكره العبد خير له مما يحب، لأن ما يكرهه يهيجه للدعاء، وما يحبه يلهيه ". (الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا ص ٢٢)

فعليك أخي الحبيب بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى ليرفع عنك ما نزل بك، فهو سبحانه قريب مجيب، يحب من عباده أن يسألوه، ويثيبهم على سؤالهم بالإجابة وبالثواب العظيم، والأجر الكبير.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: 186)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠) (الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا)

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: 83-84)

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل: 62)

وجاء في السنة أحاديث كثيرة تدل على أن الله تعالى قريب مجيب، حيي كريم، يجيب دعاء الداعين، وينفّس كرب المكروبين. ويرفع البلاء عن المبتلين، لكن هناك مقصداً آخر من الدعاء هو الخضوع والتذلل لله تعالى، فهو عبادة وترك الدعاء من جنس ترك الأعمال الصالحة اتكالاً على ما قُدِّرَ، فيلزم ترك العمل جُملة.

١٦ - الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله، ورفع بعد نزوله:

فقد أخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء". (صحيح الجامع: 3409) (صحيح الترمذي: ٢٨١٣)

أخرج الترمذي عن سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر". (صحيح الجامع: ٧٦٨٧)

وأخرج أحمد وابن ماجه والحاكم عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يردّ القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليُحرم الرزق بالذنوب يصيبه".

قال الشوكاني -رحمه الله- عن هذا الحديث: "فيه دليل على أنه سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وقد وردت بهذا أحاديث كثيرة". (تحفة الذاكرين ص ٢٩)

وقال الغزالي -رحمه الله- كما في "إحياء علوم الدين: ٣٢٨/١": فإن قلت: ما فائدة الدعاء، والقضاء لا مردّ له؟ فاعلم أن من القضاء ردّ البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لردّ البلاء واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لردّ السهم، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: "الدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإن كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخففه ويضعفه، ولهذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة والعنق... والله أعلم. (الفتاوى: ١٩٣/٨)

ومما يدل على أن الدعاء يرفع الوباء والبلاء

ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال النبي ﷺ: "اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة أو أشد، وانقل حماها إلى الجحفة، اللهم بارك لنا في مَدَنَّا وصاعنَا^(١)".

قال الخطابي -رحمه الله- وغيره: كان ساكنو الجحفة في ذلك الوقت يهودًا.

وقال ابن القيم -رحمه الله- كما في كتابه الجواب الكافي ص 17: والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن^(٢) وله مع البلاء ثلاث مقامات: أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه. الثاني: أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يُخففه وإن كان ضعيفًا. الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه". اهـ

١ - الصاع: أربعة أمداد.

٢ - حديث: "الدعاء سلاح المؤمن" حديث ضعيف، رواه أبو يعلى، وهو قول مأثور عن الفضيل بن عياض - رحمه الله-.

أخرج الحاكم من حديث عائشة-رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: " لا يُغني حذرٌ من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان ^(١) إلى يوم القيامة.

(صحيح الجامع: 7739)

قال الشوكاني-رحمه الله-: " ولهذا يجدر بالعبد إذا وجد من نفسه النشاط إلى الدعاء والإقبال عليه أن يستكثر منه، فإنه مجاب، وتقضى حاجته بفضل الله ورحمته، فإن فتح أبواب الرحمة دليل على إجابة الدعاء ". (تحفة الزكزين ص ٢٨)

١٧- الدعاء مَفْرَعُ المَظْلُومِينَ، ومَلْجَأُ المَسْتَضْعِفِينَ:

فالمظلوم أو المستضعف إذا انقطعت به الأسباب، وأغلقت في وجهه الأبواب، ولم يجد من يرفع عنه مظلمته، ويعينه على من تسلط عليه وظلمه، ثم رفع يديه إلى السماء، وبث إلى الجبار العظيم شكواه؛ نصره الله وأعزه، وانتقم له ممن ظلمه ولو بعد حين.

ولهذا دعا نوح- عليه السلام- على قومه عندما استضعفوه، وكذبوه، وردوا دعوته. وكذلك موسى- عليه السلام- دعا على فرعون عندما طغى، وتجبر، وتسلط، ورفض الهدى ودين الحق، فاستجاب الله له، وحاق بالظالمين الخزي في الدنيا، وسوء العذاب في العقبى. وكذلك الحال بالنسبة لكل من ظلم، واستضعف، فإنه إن لجأ إلى ربه، وفزع إليه بالدعاء أجابه الله، وانتصر له وإن كان فاجراً.

قال الإمام الشافعي وما أجمل ما قال:

وربَّ ظلومٍ قد كفيت بحربه	فأوقعه المقدور أي وقوع
فما كان لي الإسلام إلا تعبدًا	وأدعية لا تُتَقَى بدروع
وحسبك أن ينجو الظلوم وخلفه	سهام دعاء من قسي ركوع
مُرِيْشَة بالهدب من كل ساهرٍ	مُنْهَلَّة أطرافها بدموع

(ديوان الشافعي ص ١٠٩)

وقال الشافعي أيضًا:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه	وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن	لها أمد وللامد انقضاء

(ديوان الشافعي ص ٧٥).

١ - يعتلجان: يتصادمان ويتدافعان.

١٨ - الدعاء دليل على سمو النفس، وعلو الهمة:

فبالدعاء تكبر النفس وتشرف، وتعلو الهمة وتتسامى، ذلك أن الداعي يأوي إلى ركن شديد، ينزل به حاجاته، ويستعين به في كافة أموره، وبهذا يقطع الطمع مما في أيدي الخلق، فيتخلص من أسرهم، ويتحرر من رقهم، ويسلم من منيَّتهم، فالمنة تصدع قناة العزة، وتتال نيلها من الهمة. وبالدعاء يسلم من ذلك كله، فيظل مهيب الجناح، موفور الكرامة، وهذا رأس الفلاح، وأُسُّ النجاح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته لقضاء حاجته ودفع ضرورته، قويت عبوديته له، وحرите مما سواه، فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه". اهـ (العبودية ص ٩٤).

١٩ - الدعاء يفتح للعبد باب المناجاة ولذا نذها:

فقد يقوم العبد لمناجاة ربه، وإنزال حاجاته ببابه فيُفْتَح على قلبه حال السؤال والدعاء من محبة الله، ومعرفته، والذل والخضوع له، والتملق بين يديه ما ينسيه حاجته، ويكون ما فتح له من ذلك أحب إليه من حاجته، بحيث يحب أن تدوم له تلك الحال، وتكون أثر عنده من حاجته، ويكون فرحه بها أعظم من فرحه بحاجته لو عجلت له وفاته تلك الحال. (انظر مدارج السالكين لابن القيم: ٢/٢٢٩).

قال بعض العُباد: "إنه لتكون لي حاجة إلى الله، فأسأله إياها، فيفتح لي من مناجاته، ومعرفته، والتذلل له، والتملق بين يديه ما أحبُّ معه أن يؤخَّر عني قضاءها، وتدوم لي تلك الحال". (المصدر السابق: ٢/٢٢٩)

٢٠ - الدعاء سبب لحصول المودة بين المسلمين:

فإذا دعا المسلم لأخيه المسلم في ظهر الغيب استجيبت دعوته، ودل ذلك على موافقة باطنه لظاهره، وهذا دليل التقوى والصدق والترابط بين المسلمين، فهذا مما يقوي أواصر المحبة، ويثبت دعائمها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦)

٢١ - الدعاء سبب لانسراح الصدر:

ففيه تفريج الهم، وزوال الغم، وتيسير الأمور، ولقد أحسن من قال:

وإني لأدعو الله والأمر ضيقٌ عليّ فما ينفكُّ أن يتفرجاً

ورُبَّ فتى ضاقت عليه وجوههُ أصاب له في دعوة الله مخرجا

(عيون الأخبار لابن قتيبة: ٢/٢٨٧)

٢٢- الدعاء سبب للثبات والنصر على الأعداء:

قال تعالى عن طالوت وجنوده لما برزوا لجالوت وجنوده: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آفِرْغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَبَيِّتْ أَدَامَنَا وَأُنْصِرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٠)، فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ (البقرة: ٢٥١).

٢٣- تنصر هذه الأمة بدعوة الضعفاء:

فقد أخرج النسائي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ، وَإِخْلَاصِهِمْ". (صحيح النسائي: ٣١٧٨)

٢٤- الدعاء دليل على الإيمان بالله، والاعتراف له بالربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات:

فدعاء الإنسان لربه متضمن إيمانه بوجوده، وأنه غني، سميع، بصير، كريم، رحيم، قادر، مستحق للعبادة وحده دون من سواه.

٢٥- الدعاء سبب لمغفرة الذنوب:

فقد أخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "قال الله تعالى: يا ابن آدم، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي، يا ابن آدم، لو بَلَغْتَ ذُنُوبَكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي، يا ابن آدم، إِنَّكَ لو أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تَشْرُكَ بِي شَيْئًا، لَأَتِيَنَّكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً".

٢٦- وأخيراً: الدعاء وصية النبي ﷺ لأُمَّته:

يتبين لك أخي الحبيب بعد ما مر بك من فوائد وفضائل الدعاء؛ أن الدعاء له منزلة عظيمة في الإسلام، لذا كان الحبيب العدنان يوصي أُمَّته به.

فقد أخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء". (صحيح الجامع: 3409) (وصحيح الترمذي: ٢٨١٣)

فلا تضيعوا وصية النبي ﷺ.

٢٧- الدعاء مفتاح السعادة، وأصل كل خير:

قال ابن القيم -رحمه الله- في كتابه "الفوائد ص: ٢٧": "أساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فتيقن حينئذ أن الحسنات من نعمه فتشكره عليها وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك، وأن السيئات من خذلانه وعقوبته، فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يكلك في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك، وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خذلانه لعبد، وأجمعوا أن التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك، فإذا كان كل خير فأصله التوفيق وهو بيد الله لا بيد العبد؛ فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مَرْتَجًا دونه ... وما أتى من أتى إلا من قبل إضاعة الشكر وإهمال الافتقار والدعاء، ولا ظفر من ظفر . بمشيئة الله وعونه . إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء " . اهـ

شبهة والرد عليها:

قال ابن القيم -رحمه الله- في كتابه "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي":
وهأ هنا سؤال مشهور وهو: أن المدعو به إن كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه، دعا به العبد أو لم يدع، وإن لم يكن قد قدر لم يقع، سواء سأل العبد أو لم يسأله. فظننت طائفة صحيحة هذا السؤال، فتركت الدعاء وقالت: لا فائدة فيه، وهؤلاء مع فرط جهلهم وضلالهم، متناقضون، فإن طرد مذهبهم يوجب تعطيل جميع الأسباب فيقال لأحدهم: إن كان الشبع والري قد قدر لك فلا بد من وقوعهما، أكلت أو لم تأكل، وإن لم يقدر لم يقعا أكلت أو لم تأكل. وإن كان الولد قدر لك فلا بد منه، وطنت الزوجة أو الأمة أو لم تطأ، وإن لم يقدر لم يكن، فلا حاجة إلى الترويج والتسري، وهلم جرا.
فهل يقول هذا عاقل أو آدمي؟ بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الأسباب التي بها قوامه وحياته، فالحيوانات أعقل وأفهم من هؤلاء الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً.
والصواب: أن هاهنا قسمًا ثالثًا غير ما ذكره السائل، وهو أن هذا المقدور قدر بأسباب، ومن أسبابه الدعاء، فلم يقدر مجردًا عن سببه، ولكن قدر بسببه، فمتى أتى العبد بالسبب، وقع المقدور، ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور، وهذا كما قدر الشبع والري بالأكل والشرب وقدر الولد بالوطء، وقدر حصول الزرع بالبذر، وقدر خروج نفس الحيوان بدبحه، وكذلك قدر دخول الجنة بالأعمال، ودخول النار بالأعمال، وهذا القسم هو الحق، وهذا الذي حرمة السائل ولم يوفق له.

وَحِينَئِذٍ فَالدُّعَاءُ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ، فَإِذَا قُدِّرَ وَقُوعُ الْمَدْعُوِّ بِهِ بِالدُّعَاءِ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يُقَالَ: لَا فَائِدَةَ فِي الدُّعَاءِ، كَمَا لَا يُقَالَ: لَا فَائِدَةَ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَجَمِيعِ الْحَرَكَاتِ وَالْأَعْمَالِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَسْبَابِ أَنْفَعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَلَا أَبْلَغَ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ.

وَلَمَّا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَعْلَمَ الْأُمَّةَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَأَفْقَهُهُمْ فِي دِينِهِ، كَانُوا أَقْوَمَ بِهَذَا السَّبَبِ وَشُرُوطِهِ وَآدَابِهِ مِنْ غَيْرِهِمْ.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ يَسْتَنْصِرُ بِهِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَكَانَ أَعْظَمَ جُنْدَهُ، وَكَانَ يَقُولُ لِلصَّحَابَةِ: لَسْتُ تَنْصَرُونَ بِكَثْرَةٍ، وَإِنَّمَا تَنْصَرُونَ مِنَ السَّمَاءِ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنِّي لَا أَحْمِلُ هَمَّ الْإِجَابَةِ، وَلَكِنْ هَمَّ الدُّعَاءِ، فَإِذَا أُلْهِمْتُ الدُّعَاءَ، فَإِنَّ الْإِجَابَةَ مَعَهُ، وَأَخَذَ الشَّاعِرُ هَذَا فَنَظَّمَهُ فَقَالَ:

لَوْ لَمْ تُرِدْ نَيْلَ مَا أَرْجُو وَأَطْلُبُهُ مِنْ جُودِ كَفَّكَ مَا عَوَّدْتِي الطَّلْبَا

فَمَنْ أُلْهِمَ الدُّعَاءَ فَقَدْ أُريدَ بِهِ الْإِجَابَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: **(ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)** (غافر: ٦٠)

وَقَالَ: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ. وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ"**.. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ رِضَاهُ فِي سُؤَالِهِ وَطَاعَتِهِ، وَإِذَا رَضِيَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَكُلُّ خَيْرٍ فِي رِضَاهُ، كَمَا أَنَّ كُلَّ بَلَاءٍ وَمُصِيبَةٍ فِي غَضَبِهِ. اهـ باختصار

آداب الدعاء:

قال ابن القيم -رحمه الله- كما في كتابه " الجواب الكافي ص ٩ " مبيِّنًا آداب الدعاء:

وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب، وصادف وقتًا من أوقات الإجابة، وصادف خشوعًا في القلب، وانكسارًا بين يدي الرب وذلاً له وتضرعًا ورقّة، واستقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ، ثم قدّم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله، وألح عليه في المسألة، وتملّقه ودعاه رغبة ورهبة، وتوسّل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدّم بين يدي دعائه صدقة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يُردّ أبدًا، ولا سيما إذا صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للأسم الأعظم، الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب " . اهـ.

فهذه جملة من آداب الدعاء ذكرها ابن القيم -رحمه الله- على الإجمال والتي بها لا يرد الدعاء إن شاء الله فاحرص على تحقيقها.

ويمكن تلخيص هذه الآداب في الأمور التالية:

الأول: حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب.

الثاني: تحري أوقات الإجابة.

الثالث: أن يكون عن خشوع في القلب وتذلّ وتضرّع ورقّة وانكسار بين يدي الله عزّ وجلّ.

الرابع: أن يستقبل الداعي القبلة.

الخامس: أن يكون على طهارة.

السادس: أن يرفع يديه إلى الله عزّ وجلّ عند الدعاء.

السابع: أن يبدأ دعاءه بحمد الله وحسن الثناء عليه، ثم يُثني بالصلاة والسلام على النبي ﷺ.

الثامن: أن يقدّم بين يدي حاجته وطلبه التوبة والاستغفار.

التاسع: أن يلحّ على الله ويتملّقه ويكثر من مناجاته.

العاشر: أن يجمع في دعائه بين الرغبة والرغبة.

الحادي عشر: أن يتوسّل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العظيمة وتوحيده.

الثاني عشر: أن يُقدّم بين يدي دعائه صدقة.

الثالث عشر: أن يتخير الأدعية الجامعة التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة لاسم

الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى.

فإذا جمع المسلم في دعائه هذه الأمور العظيمة، فإنّ دعاءه لا يكاد يُردّ أبدًا.

وإليك أخي الحبيب آداب الدعاء بشيء من التفصيل:

الأدب الأول: الإخلاص في الدعاء:

وهذا الشرط أعظم شروط الدعاء وبدونه لا يقبل دعاء ولا يرفع عمل. فالإجابة مشترطة بالإخلاص. (انظر فتح الباري: ١١/٩٥)

عندما يدعو الإنسان أو يسأل، فلا يدع إلا الله، ولا يسأل سواه.

قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة غافر: ١٤)

وقال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٢٩)

والإخلاص في الدعاء يستوجب الاعتقاد بأن المدعو هو القادر وحده على قضاء الحاجات؛ حيث أن الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره. (الجامع لأحكام القرآن: ٢/٣١١)

أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي واللفظ له عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ، فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بَرَزَقٍ عَاجِلٍ، أَوْ آجِلٍ ". (صحيح الجامع: ٦٥٦٦)

وثبت في مسند الإمام أحمد والترمذي أن النبي ﷺ قال لابن عباس -رضي الله عنهما-: " إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ ". (صحيح الجامع: ٧٩٥٧) (صحيح سنن الترمذي: ٢٠٤٣)

- **فَقُولُهُ ﷺ:** " إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ". أمرٌ بالإخلاص لله تعالى في السؤال والاستعانة بأن لا يسأل إلا الله، ولا يستعان إلا به، وهذا أمر متعين على كل مسلم، لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع هذا الضرر ونيل المطلوب وجلب المنافع ودرء المضار، ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده؛ لأنَّه حقيقة العبودية". (جامع العلوم والحكم: ١/٤٨١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: " مِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُنْزَلَ بِهِمُ الشَّدَّةُ وَالضَّرُّ وَمَا يُلْجِئُهُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ فَيَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَيَرْجُوهُ لَا يَرْجُونَ أَحَدًا سِوَاهُ، وَتَتَعَلَّقُ قُلُوبُهُمْ بِهِ لَا بَغْيَ لَهُ، فَيَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ وَحَلَاوَةِ الْإِيمَانِ وَذَوْقِ طَعْمِهِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشَّرِكِ مَا هُوَ أَعْظَمُ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ مِنْ زَوَالِ الْمَرَضِ وَالْخَوْفِ أَوْ الْجَدْبِ أَوْ حُصُولِ الْيُسْرِ وَزَوَالِ الْعُسْرِ فِي الْمَعِيشَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَذَاتُ بَدَنِيَّةٍ وَنِعَمٌ دُنْيَوِيَّةٌ قَدْ يَحْصُلُ لِلْكَافِرِ مِنْهَا أَعْظَمُ مِمَّا يَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِ . وَأَمَّا مَا يَحْصُلُ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ الْمُخْلِصِينَ لِلَّهِ الدِّينَ فَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُعْبَرَ عَنْ كُنْهِهِ مَقَالٌ، أَوْ يَسْتَحْضِرَ تَفْصِيلَهُ بَالٌ، وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ ذَلِكَ نَصِيبٌ بِقَدْرِ إِيْمَانِهِ. اهـ (مجموع الفتاوى ١٠ / ٣٣٣)

الأدب الثاني: التوبة والرجوع إلى الله تعالى، ورد المظالم:

على العبد أن يتوب إلى الله تعالى توبة نصوحًا إذا أراد أن يكون مستجاب الدعوة، لأن المعاصي والذنوب من أسباب عدم قبول الدعاء، وليس هناك شر على القلوب أشد من الذنوب، فإنها إذا استحكمت من القلب باعدت بينه وبين الله تعالى، ولذا تجد أن الأنبياء والرسول كانوا يحثون أقوامهم على التوبة والاستغفار، لأن ذلك من أسباب نزول الغيث والإمداد بالأموال والبنين.

قال نوح -عليه السلام- لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١)

وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح: ١٠-١٢)

وقال هود -عليه السلام- لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى

قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ٥٢)

وكان السلف إذا أرادوا استقضاء حاجة عند مولاهم، بادروا قبل السؤال فيقومون بين يدي ربهم ويصفون أقدامهم ويبسطون أكفهم ويرسلون دموعهم على خدودهم، فيبدعون بالتوبة من معاصيهم، والتذلل لمعبودهم، ويأخذون في الثناء عليه وتقديسه وتزنيهه وتعظيمه ثم يرغبون بعد ذلك في الدعاء.

وقال تعالى: ﴿وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١)

فالتوبة سبب للفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، فعلى من أراد الدعاء أن يتوب من المعاصي والذنوب والتحلل من المظالم وهو أدب الباطن وهو الأصل في إجابة الدعاء، لأن من لوازم التوبة رد المظالم؛

وهذا يفعل طاعة لله واستجابة لأمره، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دُعَاةَ الدَّاعِ

إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦) فالاستجابة لأوامر الله سبب لإجابة الدعاء،

والنبي ﷺ حكى عن ربه عز وجل في الحديث القدسي أن العبد إذا تقرب إلى الله بالنوافل أحبه الله، وإذا أحبه الله أعطاه ما يريد، فقال سبحانه: "ولئن سألتني لأعطينه". (والحديث عند البخاري) فعلى العبد أن يتوب

عن المعاصي والذنوب حتى يقبل الله تعالى دعاءه ويستجيب له.

الأدب الثالث: تحري الحلال، وتجنب الحرام:

فعلى من أراد الدعاء أن يتحرى الحلال الطيب في مأكله، ومشربه، وملبسه، وفي جميع أحواله. فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون: ٥١)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٧١)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك".

فإذا نظرت في هذا الحديث وجدت فيه أربعة شروط لقبول الدعاء؛ الأول: قوله ﷺ: "الرجل يطيل السفر"، والمسافر له دعوة مستجابة؛ كما ثبت في سنن أبي داود والترمذي أن النبي ﷺ قال: "ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده". (الصحيحة: ٥٩٦) ومتى طال السفر كان أقرب إلى إجابة الدعاء؛ لأنه مظنة حصول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان وتحمل المشاق، والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء.

الثاني: قوله ﷺ: "أشعث أغبر"؛ فحصول التبذل في اللباس والهيئة بالشعث والإغبار من مقتضيات الإجابة. وقد أخرج أبو داود وغيره عن ابن عباس -رضي الله عنهما- لما سئل عن صلاة رسول الله ﷺ في الاستسقاء؟ قال: "خرج رسول الله ﷺ متبذلاً متواضعاً متضرعاً". (حسنه الألباني في الإرواء: ١٣٣/٣) وقال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم: "رُبَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره".

الثالث: قوله ﷺ: "يمد يديه إلى السماء"؛ وقد تواترت الأخبار على أن مدَّ اليدين إلى السماء، من آداب الدعاء التي يُرجى بسببها إجابته، كما جاء في سنن أبي داود وغيره عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إن الله حيي كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين".

(صحيح الجامع: ١٧٥٧)

الرابع: قوله ﷺ: "يا رب يا رب"؛ وهو الإلحاح على الله بتكرير ذكر ربوبيته، وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء؛ ومع وجود هذه الشروط التي تقتضي الإجابة؛ يقول النبي ﷺ: "فأنى يستجاب لذلك"، والمانع من الإجابة مع وجود هذه الشروط: أن مطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام.

قال ابن رجب -رحمه الله- في الحديث السابق: "أكل الحرام، وشربه، ولبسه، والتغذي به؛ سبب موجب لعدم إجابة الدعاء". (جامع العلوم والحكم ص ٩٢)

وقال الإمام النووي-رحمه الله- في شرحه على مسلم: ١٠٤/٧ "معلقا على الحديث السابق: " وفيه الحث على الإنفاق من الحلال والنهي عن الإنفاق من غيره، وفيه أن المأكول والمشروب والملبوس ينبغي أن يكون حلالاً خالصاً لا شبهة فيه، وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره ". اهـ

ويقول ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٢) يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم، وأن يشكروه تعالى على ذلك، والأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة، كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة ". اهـ

وقال سهل بن عبد الله التستري-رحمه الله-: "شروط الدعاء سبعة: أولها التضرع، والخوف، والرجاء، والمداومة، والخشوع، والعموم، وأكل الحلال ".

وقيل شروط الدعاء أربعة: أولها حفظ القلب عند الوحدة، وحفظ اللسان مع الخلق، وحفظ العين عن النظر إلى ما لا يحل، وحفظ البطن من الحرام ". (تفسير القرطبي: ٦٨٩/٢)

الأدب الرابع: الإقرار بالذنب، والاعتراف بالخطيئة:

ولذلك فإن دعاء يونس-عليه السلام-من أعظم الأدعية إن لم يكن أعظمها، وما ذلك إلا لأنه ضمنه اعترافه بوحداية الله عز وجل، وإقراره بالذنب والخطيئة والظلم للنفس، كما قال تعالى عنه: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧).

(انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٣٦/١٠، فقد بسط القول في هذا الدعاء)

وقال تعالى عن داود-عليه السلام-: ﴿وَطَنَ دَاوُودُ أَمَّا فَتَنَاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿ (سورة ص: ٢٤، ٢٥)

وقال تعالى عن موسى-عليه السلام-: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

(القصص: ١٦)

وكذلك الحال بالنسبة للدعاء العظيم المسمى بسيد الاستغفار، والذي يعد أفضل صيغ الاستغفار، ومن أسباب أفضليته أنه تضمن الإقرار بالذنب، والاعتراف بالخطيئة، كما جاء في حديث شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها في النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة ".

(رواه البخاري والترمذي)

الأدب الخامس: حضور القلب عند الدعاء:

فقد أخرج الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يقبلُ دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ " .

(ضعف جمهور أهل العلم هذا الحديث لكن الشيخ الألباني صححه في صحيح الجامع: ٢٤٥، والصحيحة: ٥٦٤)

وأخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَّةٌ، فبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مَوْقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاءً مِنْ ظَهَرَ قَلْبُهُ غَافِلٌ " . (الصحيحة: ٥٩٤)

فيجب على الإنسان إذا دعا ربه سبحانه وتعالى أن يستحضر القلب والفكر ويتدبر فيما يقول، وأن يخرج الدعاء من قلبه قبل أن يخرج من لسانه، كما يدل على ذلك قول النبي ﷺ: " فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ دَعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ " .

قال المباركفوري -رحمه الله- في " تحفة الأحوزي: ٩/٤٥٠ " : وقوله: " وأنتم موقنون بالإجابة " أي والحال أنكم موقنون بها، أي كونوا عند الدعاء على حالة تستحقون بها الإجابة من إتيان المعروف، واجتناب المنكر، ورعاية شروط الدعاء: كحضور القلب، وترصد الأزمنة الشريفة، واغتنام الأحوال اللطيفة كالسجود إلى غير ذلك، حتى تكون الإجابة على قلوبكم أغلب من الرد، أو أراد وأنتم معتقدون أن الله لا يخيبكم لسعة كرمه، وكمال قدرته، وإحاطة علمه، لتحقيق صدق الرجاء وخلوص الدعاء؛ لأن الداعي ما لم يكن رجاءه وثقا لم يكن دعاؤه صادقا، وقوله: " من قلب غافل " : أي معرض عن الله أو عما سأله. " لاه " من اللهو أي لاعب بما سأله أو مشغول بغير الله تعالى. وهذا عمدة آداب الدعاء ولذا خص بالذكر. اهـ

وقال ابن رجب الحنبلي -رحمه الله- في كتابه " جامع العلوم والحكم " : " الدعاء سببٌ مقتضى للإجابة مع استكمال شرائطه، وانتفاء موانعه، وقد تتخلف إجابته، لانتفاء بعض شروطه، أو وجود بعض موانعه ومن أعظم شرائطه: حضور القلب.... " اهـ

وقال ابن عطاء -رحمه الله-: " لِلدُّعَاءِ أَرْكَانٌ، وَأَجْنَحَةٌ، وَأَسْبَابٌ، وَأَوْقَاتٌ. فَإِنْ وَافَقَ أَرْكَانَهُ قَوِيٌّ، وَإِنْ وَافَقَ أَجْنَحَتَهُ طَارَ فِي السَّمَاءِ، وَإِنْ وَافَقَ مَوَاقِيتَهُ فَازَ، وَإِنْ وَافَقَ أَسْبَابَهُ أَنْجَحَ. فَأَرْكَانُهُ: حُضُورُ الْقَلْبِ، وَالرَّقَّةُ، وَالْإِسْتِكَانَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِاللَّهِ، وَقَطْعُهُ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَأَجْنَحَتُهُ: الصِّدْقُ. وَمَوَاقِيتُهُ: الْأَسْحَارُ. وَأَسْبَابُهُ: الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ " . (تفسير القرطبي: ٢/٦٨٩)

الأدب السادس: الوضوء عند الدعاء - إن أمكن :-

أخرج الإمام أحمد والترمذي واللفظ له عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: "خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان بحرة السقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص عليه السلام فقال رسول الله ﷺ: "انتوني بوضوء فتوضأ ثم قام فاستقبل القبلة فقال: "اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك ودعا لأهل مكة بالبركة وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين". (صحيح الترمذي: ٣٩١٤) (صحيح الجامع: ١٢٧٢)

وعندما بعث النبي ﷺ عبداً أبا عامر عليه السلام على جيش إلى أوطاس ورماء رجل من بني جشم بسهم وقبل أن يموت قال لأبي موسى الأشعري: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام، وقُلْ له: يقول لك أبو عامر: استغفر لي... الحديث". وفيه: فدعا رسول الله ﷺ بماء، فتوضأ منه، ثم رفع يديه، ثم قال: اللهم اغفر لعبيد أبي عامر حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك...". (والحديث رواه مسلم)

قال الحافظ - رحمه الله - في فتح الباري: ٦٣٩/٧ "عند هذا الحديث: ويستفاد من الحديث استحباب التطهر لإرادة الدعاء". اهـ

الأدب السابع: استخدام السواك عند إرادة الدعاء:

ووجه ذلك أن الدعاء عبادة باللسان، فتتطيف الفم عند ذلك أدب حسن، ولهذا جاءت السنة المتواترة بمشروعية السواك للصلاة، والعلة في ذلك تنظيف المحل الذي يكون الذكر به في الصلاة. (انظر تحفة الذاكرين ص ٤٤)

الأدب الثامن: رفع الأيدي في الدعاء:

إن من آداب الدعاء العظيمة رفع اليدين في الدعاء إلى الله عز وجل، فحين يسأل العبد ربه ويطلب منه، فإنه يمد يديه كالمتسول المستجدي المستعطف الراغب في كرم الله، ويكون على يقين أن هاتين اليدين لا تُرد إلا وقد ملئت خيراً كما وعد الله تعالى. ورفع اليدين ثابت عن النبي ﷺ في أحاديث كثيرة عدّها بعض أهل العلم في جملة ما تواتر فيه النقل عن النبي الكريم ﷺ.

قال السيوطي في شرحه لتقريب الإمام النووي ممثلاً لما تواتر معناه عن النبي ﷺ: "فقد ورد عنه ﷺ نحو مائة حديث فيه رفع يديه في الدعاء، وقد جمعتها في جزء، لكنها في قضايا مختلفة، فكل قضية منها لم تتواتر، والقدر المشترك فيه هو: الرفع عند الدعاء تواتر باعتباره المجموع". (تدريب الراوي: ١٨٠/٢)

- حتى خصَّ الأئمة أبوابًا لذلك في مصنفاتهم؛ فبواب الإمام الترمذي في "جامعه": (بَاب مَا جَاءَ فِي رَفْعِ الْأَيْدِي عِنْدَ الدُّعَاءِ)، وابن ماجه في "سننه": (بَابُ رَفْعِ الْيَدَيْنِ فِي الدُّعَاءِ).
- وعقد الإمام البخاري -رحمه الله- في كتابه الصحيح في كتاب الدعوات منه بابًا بعنوان: "رَفْعُ الْأَيْدِي فِي الدُّعَاءِ"، وأورد تحته عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "دعا النبي ﷺ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِيهِ". (رواه البخاري تعليقًا).
- وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: "رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أBRأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِد". (رواه البخاري تعليقًا).
- وقد أشار شارح الصحيح الحافظ ابن حجر -رحمه الله- إلى كثرة الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في هذا المعنى، وذكر جملةً من الأحاديث في ذلك، منها:
- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قَدِمَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ دُوسًا عَصَتْ فَادَعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَاسْتَقْبَلَ الْقَبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اهْدِ دُوسًا".
- (أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد، وهو في الصحيحين دون قوله: "ورفع يديه")
- والنبي ﷺ رَفَعَ يَدَيْهِ فِي حَدِيثٍ، وَقَالَ: "أُمْتِي أُمْتِي". وَفِي آخِرِ الْحَدِيثِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسْوَكَ". (رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-)
- وحديث عائشة: "أَنَّهَا رَأَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو رَافِعًا يَدَيْهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَلَا تَعَاقِبْنِي، أَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتَهُ أَوْ شَتَمْتَهُ^(١) فَلَا تَعَاقِبْنِي فِيهِ".
- (أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وهو في مسند الإمام أحمد)
- وفي صحيح مسلم من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه في حديث الكسوف قال: "فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ يَدْعُو".
- وفي حديث عائشة -رضي الله عنها-: "لَمَّا دَعَا النَّبِيُّ ﷺ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ". (رواه مسلم)
- وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في فتح مكة: "فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَجَعَلَ يَدْعُو". (رواه مسلم)
- وفي الصحيحين من حديث أبي حميد في قصة ابن التَّيْبَةِ: "ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْتُ عَفْرَةَ إِبْطِيهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ". (رواه البخاري مسلم)

١ - النَّبِيُّ رُبَّمَا كَانَ يَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِي الْبَشَرَ مِنَ الْغَضَبِ وَنَحْوِهِ (وَكَانَ لَا يَغْضَبُ إِلَّا لِلَّهِ)، إِلَّا أَنَّهُ ﷺ أَحْسَنُ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ بِأَمَّتِهِ رَوْفًا رَحِيمًا، وَمِنْ مَظَاهِرِ حُسْنِ خُلُقِهِ وَرَحْمَتِهِ مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَيْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً". وَفِي رَوَايَةٍ: زَكَاةٌ وَأَجْرًا. وَفِي رَوَايَةٍ: "اللَّهُمَّ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَبَيْتُهُ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ قُرْبَةً إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

- وفي حديث أسامة رضي الله عنه: " كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات فرفع يديه يدعو، فمالت به ناقته فسقط خطامها فتناوله بيده وهو رافع اليد الأخرى ". (أخرجه النسائي بسند جيد)

وذكر الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في " فتح الباري : ١١/ ١٤٢ " أحاديث في ذلك كثيرة .

- وقد مر بنا لما دعا صلى الله عليه وسلم لعبيد أبي عامر رضي الله عنه وذلك لما بعثه على جيش إلى أوطاس ورماه رجل من بني جشم بسهم وقبل أن يموت قال لأبي موسى الأشعري: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرئه مني السلام، وقُلْ له: يقول لك أبو عامر: استغفر لي.... الحديث" وفيه: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء، فتوضأ منه، ثم رفع يديه، ثم قال: اللهم اغفر لعبيد أبي عامر حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك.... ". (والحديث رواه مسلم)

- لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه مستقبلاً القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك؛ فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِذْ سَتَعْيُنُونَ رِبَّكُمْ فَاسْتَجَابْ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (الأنفال: ٩) .

(الحديث رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

وأخرج البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً، فقال: يا رسول الله، هلك المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، قال: رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا. قال أنس رضي الله عنه: ولا والله ما نرى في السماء من سحب، ولا قزعة، ولا شيئاً، وما بيننا وبين سلع من بيت، ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسّطت السماء، انتشرت ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس سبتاً، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله، هلك الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها، قال: رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ثم قال: اللهم حوالينا، ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال، والأجام والظراب، والأودية ومنابت الشجر. قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس. قال شريك: فسألت أنس بن مالك رضي الله عنه: أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدري.

والشاهد من الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه في المرتين التي دعا فيهما.

وأخرج أبو داود والنسائي عن أنس رضي الله عنه أنه سئل هل كان رسول الله ﷺ يرفع يديه -أي في الدعاء- فقال: قيل له يوم الجمعة يا رسول الله! قحط المطر، وأجدبت الأرض، وهلك المال، قال: فرفع يديه حتى رأيتُ بياضَ إبطيه فاستسقى، ولقد رفع يديه وما نرى في السماء سحابةً، فما قضينا الصلاة حتى أن الشابَّ قريبَ الدارِ ليهمة الرجوعِ إلى أهله قال: فلما كانت الجمعة التي تليها قالوا: يا رسول الله! تهدمت البيوت، واحتبست الركبان فتبسم رسول الله ﷺ من سرعة ملالة ابن آدم وقال: "اللهم حوالينا ولا علينا". قال: فتكشطت عن المدينة.

وذكر النووي في كتابه الأذكار: "باب رفع اليدين في الدعاء" عن الأوزاعي قال: "خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر من حضر! ألسنتم مقرين بالإساءة؟ فقالوا: اللهم نعم، فقال: اللهم إنا قد سمعناك تقول: "ما على المحسنين من سبيل" وقد أقرنا بالإساءة، فهل تكون مغفرتك إلا لمتلنا، اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا، فرفع يديه ورفعوا أيديهم، فسقوا". اهـ

- وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إن ربكم حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً ^(١) خائبين".

- وفي رواية: "إن ربكم حيي كريم، يستحي أن يبسط العبد يديه إليه أن يردهما صفراً".

(صحيح الجامع: ٢٠٧٠)

- وفي رواية: "إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين".

(صحيح الجامع: ١٧٥٧)

قال أبو داود -رحمه الله-: ورأيت أحمد يرفع يديه -أي في الدعاء-. (مسائل أحمد لأبي داود ص ٦٦)

تنبيهات:

أ- ورفع اليدين إنما يكون في الدعاء العام، وما ورد الدليل على مشروعية رفع اليدين فيه، كرفع اليدين في الدعاء عند الصفا والمروة، وفي الاستسقاء يوم الجمعة ونحو ذلك، لأن هناك أدعية لا ترفع فيها الأيدي مثل دعاء دخول المنزل، والخروج منه، ودخول الخلاء، والخروج منه.

ب- المبالغة في رفع اليدين حتى يظهر بياض الإبط حال اشتداد الكرب:

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من عبد يرفع يديه حتى يبدو إبطه يسأل الله مسألة، إلا آتاها إياه ما لم يعجل، قالوا: يا رسول الله وكيف عجلته؟ قال: يقول: قد سألت وسألت ولم أعط شيئاً". (صحيح الترمذي: ٣٦٠٤)

وهذه الهيئة مما تظهر التعلق بالله والافتقار إليه، والإلحاح عليه.

ج- سؤال الله تعالى يكون ببطون الأيدي:

فمن أراد رفع اليدين للدعاء فعليه أن يرفعهما ملتصقتين، ولا يفرج بين أصابعه، فيكون باطن الكفين مما يلي وجه الداعي، أو يكون باطنهما للسماء وظهرهما للأرض.

ودليل ذلك ما أخرجه أبو داود من حديث مالك بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا سألتكم الله فاسألوه ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها".

(ضعفه بعض أهل العلم وصححه الألباني في الصحيحة: ٥٩٥، وصحيح أبي داود: ١٣١٨)

- وعند الطبراني في المعجم الكبير من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "كان النبي ﷺ إذا دعا جعل باطن كفه إلى وجهه". (صحيح الجامع: ٤٧٢١)

ورفع اليدين إلى الله عز وجل حال الدعاء، هو أدب رفيع من المخلوق الفقير المحتاج إلى ربه الغني الجواد الكريم؛ حيث يظهر المخلوق برفعه يديه احتياجه لربه، وافتقاره إليه، وذله، وخضوعه وانكساره بين يدي ربه، وكلما عظمت حاجة المخلوق واشتدت رغبته وزاد إلحاحه بالغ في رفعه يديه وزاد في مدّهما إلى الله متذللاً متوسلاً، ولهذا كان دعاء الاستسقاء فيه من الرغبة والإلحاح ما ليس في غيره، وفي ذلك أعظم دلالة على توحيد الله وتعظيمه، وغناه الكامل عن خلقه وافتقارهم واحتياجهم إليه.

كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (سورة فاطر: ١٥)

د- رفع اليد للدعاء له ثلاث هيئات نكروهم ابن عباس -رضي الله عنهما- مرفوعاً وموقوفاً فقال:

"المسألة: أن ترفع يديك حذو منكبيك، أو نحوهما، والاستغفار: أن تشير بأصبع واحدة، والابتهاال: أن تمدّ يديك جميعاً". (رواه أبو داود والطبراني) وفي لفظ: "هكذا الإخلاص؛ يشير بإصبعه التي تلي الإبهام، وهذا الدعاء؛ فرفع يديه حذو منكبيه، وهذا الابتهاال؛ فرفع يديه مدّاً".

(صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ١٣٢١ موقوفاً ومرفوعاً)

فهذه ثلاث هيئات لرفع اليد في الدعاء: فإذا كان الدعاء ابتهالاً وتضرعاً فإن رفع اليدين يكون بمدّهما نحو السماء حتى يبدو بياض الإبط، وإذا كان الدعاء دعاء المسألة فيكون رفع اليدين إلى المنكبين أو نحوهما، وإذا كان الدعاء استغفاراً وتمجيداً وثناءً فإن الرفع يكون بإصبع واحدة، وهي السبابة من اليد اليمنى، وهذا للخطيب في الجمعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: فجعل المراتب ثلاثة: الإشارة بإصبع واحدة، كما كان يفعل يوم الجمعة على المنبر، والثانية: المسألة، وهو أن يجعل يديه حذو منكبيه، كما في أكثر الأحاديث، والثالث: الابتهاال، وهو الذي ذكره أنس رضي الله عنه، ولهذا قال: "كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه"، وهذا الرفع إذا اشتدّ كان بطون يديه ممّا يلي وجهه والأرض، وظهورهما مما يلي السماء.

وبما تقدّم يتبيّن أنّ الدعاء مشروعٌ فيه رفع اليدين سواء في الاستسقاء أو غيره، بل إنّ الرفع من أسباب الإجابة، كما في الحديث: **"إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صَفَرًا"**، أي خائبتين، لكن صفة الرفع في الاستسقاء الذي هو مقام شدة ورهب تكون بالمبالغة في الرفع والابتهاال الشديد، وأما ما سواه فيكون الرفع إلى المنكبين أو نحوهما، عملاً بجميع الأحاديث الواردة في الباب.

هـ- ذهب بعض أهل العلم إلى أنّ الدعاء لا يُشرع فيه رفع اليدين إلّا في الاستسقاء فقط، أمّا سوى ذلك من الأدعية فلا يُشرع فيها رفع اليدين. **واستدلوا بما ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: "كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلّا في الاستسقاء، فإنه كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه".**

لكنّ هذا الحديث معارضٌ بأحاديث كثيرة دالة على مشروعية رفع اليدين في الدعاء في غير الاستسقاء، ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: **"والصحيح الرفع مطلقاً، وقد تواترت الأحاديث بذلك. والجواب عن حديث أنس رضي الله عنه السابق: أن المراد بكلام أنس رضي الله عنه هو حصر رفع اليدين في صلاة الاستسقاء على هيئة مخصوصة^(١)، كما قال بهذا جمع من العلماء، وما مر معنا من أحاديث يدل على أن النبي ﷺ رفع اليدين عند الدعاء في غير الاستسقاء.**

و- البعض إذا دعا مسح وجهه بيديه بعد الدعاء، وهذا ورد فيه بعض الأحاديث إلّا أنّها لا تثبت عن النبي ﷺ ومنها: **"كان رسول الله ﷺ إذا مدّ يديه في الدعاء لم يردّهما حتى يمسح بهما وجهه".** (حديث ضعيف)

ومن هذه الأحاديث: **كان النبي ﷺ إذا مدّ يديه في الدعاء لم يحطّهما حتى يمسح بهما وجهه".** (حديث لا يصح)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: **"وأما رفع النبي ﷺ يديه في الدعاء فقد جاء فيه أحاديث كثيرة صحيحة، وأما مسحه وجهه بيديه فليس عنه فيه إلّا حديثٌ أو حديثان لا يقوم بهما حجة".** (مجموع الفتاوى: ٥١٩/٢٢)

ز- ومن الناس من إذا دعا أو قبل أن يدعو يمسح إحدى اليدين بالأخرى أو ينفض يديه ونحو ذلك، ومنهم من يقبل يديه بعد رفعهما للدعاء، وهذا كله لا أصل له.

١ - وهو أن يكون ظهور الكفين إلى السماء ويطونهما مما يلي الأرض، كما جاء في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السماء". وعند الإمام أحمد بلفظ: فيسط يديه وجعل ظاهرهما مما يلي السماء".
وعند أبي داود بلفظ: استسقى هكذا: - يعني مد يديه وجعله بطونهما مما يلي الأرض-.
تنبيه: قال بعض أهل العلم: أن النبي ﷺ لم يقصد قلب كفيه، إنما حصل له من شدة رفع يديه إنحاء بطونهما إلى الأرض.

الأدب التاسع: استقبال القبلة:

فيستحب لمن أراد الدعاء أن يستقبل القبلة، وكان هذا من هدي النبي ﷺ. فقد استقبل النبي ﷺ القبلة عند دعائه في أحاديث عديدة منها:

ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن زيد ؓ قال: " خرج النبي ﷺ إلى هذا المصلّى يستسقي، فدعا واستسقى، ثم استقبل القبلة وقلب رداءه ."

من ذلك أيضًا ما رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ؓ قال: " استقبل النبي ﷺ الكعبة فدعا على نفر من قريش... الحديث ."

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ قال: قَدِمَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأَنْتَ بِهِمْ، ثَلَاثًا ."

ومر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب ؓ قال: " لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلة ثم مَدَّ يديه، فجعل يهتف بربه: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدْ فِي الْأَرْضِ، فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ مَا دَامَا يَدِيهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكَبِيهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكَبِيهِ ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مَنَاشِدَتُكَ رَبِّكَ، فَإِنَّهُ سَيَنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَنِّي مُدْكُمُ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٩)

وثبت كذلك استقبال القبلة في الدعاء في الحج على الصفا والمروة وفي عرفة وعند المشعر الحرام وعند الجمرة الأولى والثانية، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهي تدلُّ على مشروعية استقبال القبلة وقت الدعاء، وأنَّ ذلك أفضل وأكمل للداعي.

تنبيه: واستقبال القبلة ليس لازماً ولا واجباً في الدعاء؛ لأنَّ النبي ﷺ ثبت عنه أنَّه دعا وهو غير مستقبل القبلة. كما مر بنا في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك ؓ: أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وَجَاهَ الْمَنْبَرِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْتَ الْمَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا... الحديث ."

ومعلوم أنَّ الخطيب وقت الخطبة يكون معطياً القبلة ظهره، فهذا فيه دلالة على أنَّ استقبال القبلة ليس شرطاً في الدعاء، لكنَّه هو الأولى والأكمل.

الأدب العاشر: يفتح الدعاء بالثناء على الله تعالى، ثم يصلي على النبي ﷺ:

فالداعي يبدأ دعاءه بحمد الله على نعمه الظاهرة والباطنة، ويثني عليه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلاء، ثم يصلي على النبي ﷺ قبل الشروع في الدعاء، وهذا أدعى لقبول الدعاء.

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يُمجِّدِ الله تعالى، ولم يُصلِّ على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: عَجَلْ هذا، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ أَوْ لغيره: إِذَا صَلَّيْ أَحَدُكُمْ ^(١) فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ. (صحيح أبي داود: ١٤٨١) (صحيح الجامع: ٦٤٨)

وفي رواية: إِذَا صَلَّي أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ.

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه بلفظ: "بينا رسول الله ﷺ قاعداً إذ دخل رجلٌ فصلَّى فقال: اللَّهُمَّ اغفر لي وارحمني، فقال رسول الله ﷺ: عَجَلْتَ أَيُّهَا المصلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعِدْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ. قال: ثُمَّ صَلَّيْ رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّهَا المصلِّي ادْعُ تُجَبِّبَ."

(صحيح الجامع: ٣٩٨٨) (صحيح الترمذي: ٣٤٧٦)

وروى الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَسْأَلَ فَلْيَبْدَأْ بِالمَدْحَةِ، وَالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ لِيَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَسْأَلَ بَعْدُ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يَنْجَحَ."

قال الخطابي-رحمه الله-: "وَلْيَتَخَيَّرْ لِدَعَائِهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَى رَبِّهِ أَحْسَنَ الْأَفَاضِ، وَأَنْبَلُهَا، وَأَجْمَعُهَا لِلْمَعَانِي، لِأَنَّهُ مَنَاجَاةُ الْعَبْدِ سَيِّدَ السَّادَاتِ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ، وَلَا نَظِيرٌ". (شأن الدعاء للخطابي ص ١٥).

(السلسلة الصحيحة: ٣٢٠٤)

ومن الأمثلة على تقديم الثناء على الله في الدعاء:

- ما جاء في فاتحة الكتاب حيث قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ (٣) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ١-٥) وكل هذا تمجيد وثناء على الله تعالى، ثم

بعد ذلك كان الدعاء والطلب ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦)

يقول دكتور عصام العويد: من "سورة الفاتحة" نتعلم أن إطالة الثناء في أول الدعاء مشروع، فقد استغرق نصف الفاتحة، ثم يأتي الانكسار، ثم السؤال ويكونا في القدر دون الأول."

١- إِذَا صَلَّي أَحَدُكُمْ: أي: إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ، والصلاة لغة: هي الدعاء.

مما يدل على هذا أيضاً ما أخرجه البخاري ومسلم عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُزْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ". زَادَ بَعْضُ الرِّوَاةِ: "وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ". فالنبي ﷺ حمد الله تعالى وأثنى عليه وعبوديته له ثم سأل بعد المغفرة.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرحه لهذا الحديث: "وفيه استحبابُ تقديم الثناء على المسألة عند كلِّ مطلوب اقتداءً به ﷺ". (فتح الباري: ٥/٣)

وفي حديث الشفاعة الطويل وهو عند البخاري ومسلم وفيه: ".... فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ازْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تَسْمَعُ، سَلْ تُعْطَا، اشْفَعْ تَشْفَعْ، فَارْفَعْ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يَعْلَمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ... الحديث".

فتجد في هذا الحديث أن النبي ﷺ قدم بين يدي الشفاعة تحميذاً وتمجيذاً.

وكذلك الخليل إبراهيم -عليه السلام- لما أراد مناجاة مولاه في استقضاء حوائجه واستدرار ما في خزائنه، بدأ بالثناء على ربه قبل سؤاله فبدأ بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء: ٧٨-٨٢)

فأثنى على الله سبحانه بخمسة أمور؛ أنه الخالق الهادي، المطعم المسقي، الشافي، المحيي المميت، غافر الذنب. ثم سأل خمس حوائج؛ فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحَمْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاعْفُرْ لِأَيِّبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ (الشعراء: ٨٣-٨٧)

فقضى الله سبحانه حوائجه كلها إلا واحدة؛ وهي سؤال المغفرة لأبيه، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١١٤)

- وكذلك دعاء يوسف - عليه السلام - : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (سورة يوسف: ١٠١)

- وكذلك دعاء أيوب - عليه السلام - ، قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرُوا لِلْعَابِدِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: ٨٣، ٨٤)

- وكذلك دعاء أولي الألباب الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (سورة آل عمران: ١٩١)

- وكذلك دعاء الملائكة: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (سورة غافر: ٧)

وكذلك موسى - عليه السلام - قدم الثناء على الله، فقال: ﴿ أَنْتَ وَلَيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٥٥)

وكذلك يونس - عليه السلام - قال الله تعالى عنه: ﴿ فَنادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٧) نادى الله بالتوحيد، ثم نزهه عن النقائص والظلم، اعترافًا واستحقاقًا، فكانت النتيجة: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَنَمِ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٨)

والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا، يطول عدّها، فينبغي على المسلم أن يحافظ على هذا الأدب الرفيع عند سؤاله له سبحانه بأن يُنِّي عليه ويحمده ويمجّده، ويعترف بفضله وإنعامه، ثم يسأله بعد ذلك ما يشاء من خيري الدنيا والآخرة.

• ترك الصلاة على النبي ﷺ قد يمنع إجابة الدعاء:

فقد أخرج الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ" ^(١). (السلسلة الصحيحة: ٢٠٣٥) (صحيح الجامع: ٤٥٢٣)

وأخرج الترمذي عن عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: "إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلَّى عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ" ^(٢). (قال ابن كثير: إسناده جيد) (وحسنه الألباني في صحيح الترمذي)

قال ابن القيم -رحمه الله-: "فمفتاح الدعاء الصلاة على النبي ﷺ كما أن مفتاح الصلاة الطهور، ثم نقل عن أحمد بن أبي الحوراء قال: سمعت أبا سليمان الداراني -رحمه الله- يقول: "من أراد أن يسأل الله حاجته فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ وليسأل حاجته، وليختتم بالصلاة على النبي ﷺ، فإن الصلاة على النبي ﷺ مقبولة، والله أكرم أن يرد ما بينهما". (جلاء الأفهام ص ٢٦٠)

١ - روى هذا الحديث أيضًا الطبراني في الأوسط موقوفًا على علي عليه السلام.
٢ - قال الحافظ العراقي: "وهو وإن كان موقوفًا عليه فمثله لا يقال من قبل الرأي، وإنما هو أمر توقيفي فحكمه حكم المرفوع. وقال القاضي أبو بكر بن العربي عقب ذكره لقول عمر هذا: ومثل هذا إذا قاله عمر لا يكون إلا توقيفًا لأنه لا يُذَرَكُ بنظر".

الأدب الحادي عشر: الدعاء بتضرع، وخشوع، وتذلل، ومسكنة، ورغبة ورهبة:

ومن آداب الدعاء المهمة أن يدعو المسلم ربه وهو في حال تضرع وخشوع وخضوع وتذلل، بل إن ذلك هو روح الدعاء ولبه ومقصوده، فإن الخاشع الذليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل قد انكسر قلبه وذلت جوارحه وخشع صوته، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، فأمر سبحانه بدعائه بتضرع وخفية، وحذر في هذا السياق من الاعتداء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ومن العدوان أن يدعو غير متضرع، بل دعاء هذا كالمستغني المدلي على ربه، وهذا من أعظم الاعتداء لمنافاته لدعاء الذليل، فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو مُعتد". (مجموع الفتاوى: ٢٣/١٥)

وقال ابن القيم -رحمه الله- في كتابه "بدائع الفوائد: ١٢/٣": إن عدم التضرع في الدعاء من الاعتداء في الدعاء". اهـ

والتضرع والخشوع والمسكنة، والتذلل؛ هو روح الدعاء ولبه ومقصوده، لأن الداعي يظهر عجزه وافتقاره إلى الله تعالى، ويتبرأ من حوله وقوته، وأنه لا قدرة له على جلب نفع أو دفع ضرر إلا بالله تعالى، وأنه إن وكله الله إلى نفسه ضل وغوى، ولم يقدر على شيء لا من أمر الدنيا -مهما كان حقيرًا- ولا من أمر الآخرة. فيقف على باب المولى عز وجل ذليلاً منكسراً مقراً بضعفه، وحاجته إلى ربه، وذله بين يديه، ينكس رأسه، ويرفع يديه، يسأل مولاه سبحانه، ويلتجئ إليه في أمره، فهو العبد، والله هو الرب مالك الملك، ذو العظمة والجلال، الذي لا يعجزه شيء وهو الغني عن عباده وهم الفقراء إليه، رب الأرض والسماء، سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية، فمن استشعر هذه المعاني لم يكن دعاؤه يرد. (موسوعة الآداب الإسلامية ص ٣٦٣)

قال الداودي -رحمه الله-: "على الداعي أن يجتهد ويلح ولا يقل: "إن شئت" كالمستثنى ولكن دعاء البائس الفقير". (فتح الباري: ١/١٤٥)

قال تعالى عن أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠)

وقال تعالى عن أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣)

وعن زكريا عليه السلام دعاءه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٩)

وعن يعقوب -عليه السلام- قوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (يوسف: ٨٦)

وعن موسى عليه السلام دعاءه: ﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: ٢٤)

قال بعض أهل العلم: " ادع بلسان الذلة والافتقار؛ لا بلسان الفصاحة والانطلاق " . (الإحياء: ٣٠٦/١)

وقال ابن المبارك-رحمه الله:- " قدمت المدينة في عام شديد القحط، فخرج الناس يستسقون، فخرجت معهم، إذ أقبل غلام أسود، عليه قطعتا خيش، قد ائثر بإحداهما، وألقى الأخرى على عاتقه، فجلس إلى جنبي، فسمعتة يقول: " إلهي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب، ومساوئ الأعمال، وقد حبست عنا غيث السماء، لتؤدب عبادك بذلك، فأسألك يا حليماً ذا أناة، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة "، فلم يزل يقول: الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام، وأقبل المطر من كل جانب " . (إحياء علوم الدين: ٣٠٨/١).

الأدب الثاني عشر: أن يكون غرض الداعي جميلاً حسناً:

كأن يتوسل الداعي إلى الله فيما أجاب دعوته أنه سيترتب على تلك الإجابة عمل صالح، كأن يقول مثلاً: اللهم ارزقني مالاً، لأسلطه على هلكته في الحق، ولأنصر به دين الإسلام، أو: اللهم ارزقني علماً، كي أعلم العباد دين الله، وأنشر الخير بينهم، أو: اللهم ارزقني زوجة، لأتعف بها عن المحارم وهكذا... ويشير إلى ذلك قوله تعالى عن موسى -عليه السلام-: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ (طه: ٢٥ - ٣٥) فماذا كانت النتيجة؟ لقد أجاب الله سؤاله، ومنَّ عليه مرة أخرى. ويشير إليه أيضاً الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا جاء الرجل يعود مريضاً فليقل: اللهم اشفِ عبدك فلاناً، ينكأ لك عدواً، أو يمشي لك إلى الصلاة " . (الصحيحة: ١٥٠٤) (صحيح الجامع: ٤٦٦)

الأدب الثالث عشر: البكاء- إن استطاع- حال الدعاء:

وإذا حضر القلب عند الدعاء دمت العين، وهذا البكاء والانكسار بين يدي الله تعالى سبب لقبول الدعاء وقد أخرج مسلم في صحيحه " باب دعاء النبي لأمتة وبكائه شفقة عليهم " من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ تلا قول الله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّهُنَّ أَضَلَّنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقول عيسى -عليه السلام-: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه وقال: " اللهم أمتي أمتي " وبكى، فقال الله عز وجل: " يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك؟ "، فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله بما قال وهو أعلم. فقال الله: " يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك " .

الأدب الرابع عشر: الافتقار إلى الله تعالى، والتبرؤ من الحول والقوة:

والافتقارُ إلى الله من الخصال الكريمة التي ينبغي أن يتصفَ بها مَنْ يدعو الله عزَّ وجلَّ، ويعلم علمَ يقينٍ أنَّه محتاجٌ إلى الله، لا يستغني عنه طرفة عين، وذلك أنَّ الإنسان بل وجميعَ المخلوقات عبادُ الله تعالى، فقراءُ إليه، مماليكُ له، وهو ربُّهم ومليكَهم وإلهُهم، لا إلهَ لهم سواه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (سورة فاطر: ١٥)

ومع هذا تجد البعض يعتمد على حوله وقوته، أو ماله، أو سلطانه في قضاء حوائجه، ولم يتوجه يوماً من الأيام إلى الله تعالى ويرفع أكف الضراعة ويتذلل ويفتقر إليه سبحانه، ويتبرأ من حوله وقوته، ويطلب من الله قضاء حوائجه بعد الأخذ بالأسباب، أو يعتمد في قضاء حوائجه على مخلوقين ضعفاء مثله، وينسى الخالق سبحانه.

فوالله ثم والله لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، ولا شفاء إلا بيده سبحانه، ولا كاشف للبلوى إلا هو، ولا توفيق ولا فلاح ولا نجاح ولا سعادة إلا من عنده سبحانه، فبيده مقاليد كل شيء. فلماذا إذاً نتعلق بالقلوب بالأسباب، وتنسى مسبب الأسباب؟، لماذا نتعلق بالمخلوقين الضعفاء العاجزين؟

سل الله ربك ما عنده ولا تسأل الناس ما عندهم

ولا تبتغي من سواه الغنى وكن عبده ولا تكن عبدهم

قال ابن القيم-رحمه الله- في كتابه "الفوائد": "إذا كان كل خير أصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرغبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مرتجاً دونه". اهـ.

وقال أيضاً-رحمه الله-: "من أراد الله به خيراً فتح له باب الذل والانكسار، ودوام اللجأ والافتقار إليه".

وقال سهل التستري-رحمه الله-: "ليس بين العبد وبين ربه طريق أقرب إليه من الافتقار".

والافتقار إلى الله والتبرؤ من الحول والقوة تجده في كثير من أدعية الأنبياء والمرسلين:

ها هو يعقوب-عليه السلام- لما قال: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (يوسف: ٦٧)

فعندما تبرأ من حوله وقوته وفوض أمره إلى الله؛ أعطاه الله ما أراد، ورد عليه يوسف وأخيه.

وها هو يوسف -عليه السلام- قال: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ

وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يوسف: ٣٣، ٣٤)

- وعندما قال يوسف -عليه السلام- أيضا: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠١) وهنا أيضا تجد أن يوسف -عليه السلام- تبرأ من حوله وقوته ونسب كل ما فيه من فضل إلى الله تعالى فأثنى عليه بما هو أهله، ثم دعا الله تعالى أن يتوفاه على الإسلام ويلحقه بالصالحين.

- وموسى -عليه السلام- لما سقى لبنتي شعيب وتولى إلى الظل تبرأ من حوله وقوته وافترق إلى الله، وطلب ما عنده من خير، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: ٢٤)

فكانت الاستجابة فورية حيث قال رب البرية: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ (القصص: ٢٥) فأعطاه الله الزوجة، والمبيت، والعمل، وأمنه مما يخاف.

- وأيضا لما دعا النبي ﷺ يوم بدر فقال كما مر بنا: "اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدْ فِي الْأَرْضِ، فَمَا زَالِ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ مَاذَا يَدِيهِ مُسْتَقْبَلِ الْقَبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكَبِيهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكَبِيهِ ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مَنَاشِدُكَ رَبِّكَ، فَإِنَّهُ سَيَنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُدْكُمُ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٩)

الأدب الخامس عشر: أن يسأل الله تعالى باسمه الأعظم:

لا شك أن الدعاء باسم الله الأعظم له أكبر الأثر في قبول وإجابة الدعاء، فحريُّ الاعتناء به أشد العناية، حتى يتكرَّم ربنا بإعطائنا ما نرجوه في العاجل والآجل.

فقد أخرج أبو داود والترمذي من حديث بُرَيْدَةَ ؓ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ"، فَقَالَ: لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أُجَابَ."

(صحيح سنن أبي داود: ١٣٢٤) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٤٠)

وأخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك ؓ دخل النبي ﷺ المسجدَ ورجلٌ قد صَلَّى وهو يدعو وهو يقول في دعائه: اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَتَدْرُونَ بِمَ دَعَا اللَّهَ؟ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أُجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ". (صحيح الترمذي: ٣٥٤٤)

وأخرج أبو داود أيضًا من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يَصَلِّي ثُمَّ دَعَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ ^(١) بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^(٢) يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ^(٣) يَا حَيُّ ^(٤) يَا قَيُّوْمُ ^(٥) فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سئِلَ بِهِ أُعْطِيَ . (صحيح أبي داود: ١٤٩٥) (الصحيحة: ٣٤١١)

تنبيهات:

١ - على الدَّاعِي أن يختار الأسم المناسب حال الدعاء:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٨٠)، فإذا سأل الله ودعا أن يغفر له ويرحمه فيقول: يا غفور يا رحيم؛ اغفر لي وارحمني، وإذا سأل الله تعالى الرزق؛ فإنه يقول: يا رزاق ارزقني، وإذا سأل الله العفو فيقول: اللهم إنك عفو تحب العفو فأعف عني، أو يقول: يا شافي اشفني، أو يا كريم أكرمني، وهكذا يتخير الأسم المناسب لمسألته وحاله.

٢ - على الدَّاعِي أن يكثر من هذه الدعوة: "يا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ".

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أَلِظُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ". (الصحيحة: ١٥٣٦) (صحيح الترمذي: ٢٧٩٧)

يعني: الزموا هذه الدعوة، وأكثروا منها.

٣ - اسم الله الأعظم ذكر في ثلاث سور، جاء ذكرها في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه والطبراني في الكبير والحاكم من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ؛ فِي ثَلَاثِ سُورٍ مِنَ الْقُرْآنِ: فِي (البقرة ^(٦)) وَ (آل عمران ^(٧))، وَ (طه ^(٨))".

(صحيح الجامع: ٩٧٩)

٤ - أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها -قالت: قال رسول الله ﷺ: "اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَالِهَكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٦٣)، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿إِلَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (سورة آل عمران: ١، ٢)".

١ - المنان: اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، أي كثير العطاء، من المنّة بمعنى النعمة، أو النعمة الثقيلة، أي صاحب النعم المتتالية دون طلب عوض، وغرض.

٢ - بديع السماوات والأرض: أي مبدعهما بمعنى مخترعهما ومنشئهما على غير مثال سابق.

٣ - ذا الجلال والإكرام: ذو الجلال: صاحب العظمة والكمال. والإكرام: هو سعة الفضل، والجلود بما ليس له حدود.

٤ - الحي: اسم من أسماء الله تعالى، وهو الذي له الحياة الدائمة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات.

٥ - القيوم: اسم من أسماء الله تعالى، وهو القائم بنفسه، فلم يحتج إلى أحد، والمقيم لغيره بالتدبير والإصلاح، وكل صفات الفعل ترجع إلى هذا الاسم الجليل.

٦ - في قوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (البقرة: ٢٥٥)

٧ - في قوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (آل عمران: ٢)

٨ - في قوله تعالى: {وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ} (طه: ١١١)

الأدب السادس عشر: ألا يعتدى في الدعاء:

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥) وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (الأعراف ٥٥، ٥٦)

قيل: المراد أنه لا يحب المعتدين في الدعاء. كالذي يسأل ما لا يليق به من منازل الأنبياء وغير ذلك. وقد روى الإمام أحمد وأبو داود في سننه أن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه سمع ابنه يقول: "اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها فقال: يا بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "الدعاء ليس كله جائزًا، بل فيه عدوان محرم، والمشروع لا عدوان فيه، والعدوان يكون تارة في كثرة الألفاظ، وتارة في المعاني". اهـ

وعلى هذا فالاعتداء في الدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة على المحرمات، وتارة بأن يسأل ربه ما لا يمكن حصوله، مثل أن يسأل الله تخليده إلى يوم القيامة، أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب أو يسأله أن يطلعه على غيبه، أو يسأله أن يجعله من المعصومين، أو يسأله أن يهب له ولدًا من غير زوجة ولا أمة، ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء. فكل سؤال يناقض حكمة الله أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به فهو اعتداء لا يحبه الله ولا يحبه رسوله ﷺ.

وفسر الاعتداء برفع الصوت أيضًا في الدعاء. قال ابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء. وبعد: فالآية أعم من ذلك كله، وإن كان الاعتداء في الدعاء مرادًا بها فهو من جملة المراد، والله لا يحب المعتدين في كل شيء، دعاء كان أو غيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

وعلى هذا فيكون قد أمر بدعائه وعبادته وأخبر أنه لا يحب أهل العدوان، وهم الذين يدعون معه غيره. فهؤلاء أعظم المعتدين عدوانًا. فإن أعظم العدوان هو الشرك، وهو وضع العبادة في غير موضعها. فهذا العدوان لا بد أن يكون داخلًا في قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

ومن العدوان: أن يدعو دعاء غير متضرع، بل دعاء مدلّ، كالمستغني بما عنده المدل على ربه به. وهذا من أعظم الاعتداء المنافي لدعاء الضالّ الفقير المسكين من كل جهة في مجموع حالاته. فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد.

ومن الاعتداء: أن تعبد به لا يشرعه، وتثني عليه بما لم يثن به على نفسه ولا أذن فيه. فإن هذا الاعتداء في دعاء الثناء والعبادة، وهو نظير الاعتداء في دعاء المسألة والطلب. وعلى هذا فتكون الآية دالة على شيئين:

أحدهما: محبوب للرب تبارك وتعالى مرضى له، وهو الدعاء تضرعا وخفية. والثاني: مكروه له مبغوض مسخوط، وهو الاعتداء، فأمر بما يحبه الله وندب إليه، وحذر مما يبغضه وزجر عنه بما هو أبلغ طرق الزجر والتحذير. وهو أنه لا يحب فاعله، ومن لم يحبه الله فأى خير يناله؟ وفي قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ عقب قوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ دليل على أن من لم يدعه تضرعا وخفية فهو من المعتدين الذين لا يحبهم، فقسمت الآية الناس إلى قسمين: داع لله تضرعا وخفية، ومعتد بترك ذلك. (التفسير القيم ص ٢٥٢)

الآداب السابعة عشر: خفض الصوت، والإسرار بالدعاء:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)

وخفض الصوت، والإسرار بالدعاء انكسار بين يدي الله عز وجل وإظهار الفقر، والعجز، والحاجة، فالعبد يدعو من يسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، قالت عائشة - رضي الله عنها - في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا﴾ (الإسراء: ١١٠) أي: بدعائك .

فمن آداب الدعاء: المخافة والإسرار وعدم الجهر به، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (الأعراف ٥٥) وفي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي موسى الأشعري ؓ قال: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ - أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ازْبِعُوا^(١) عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا؛ إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ...".

- وفي رواية: قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنّا إذا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ازْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ".

١ - اربعوا: أي: ارفعوا بأنفسكم وخفضوا أصواتكم.

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: " ينبغي للعبد أن يُسر دعاءه، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ فقال: هذا في الدعاء، حيث كان يكرهون أن يرفعوا أصواتهم بالدعاء ".

(غذاء الألباب للسفاريني: ١ / ٤٠٨)

وقد أثنى الله تعالى على نبيه زكريا - عليه السلام - فقال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ (مريم: ٣، ٢)

قال الحسن - رحمه الله -: " ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم. وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (مريم: ٣) ".

(الزهد لابن المبارك ص: ٤٥) (تفسير الطبري: ٥ / ٥١٤)

وقال ابن جريج - رحمه الله -: " يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء، ويؤمر بالتضرع والاستكانة ". (تفسير الطبري: ٥ / ٥١٥)

هذا ولخفض الصوت، والإسرار بالدعاء فوائد عديدة، وأسرار بديعة، وقد أشار ابن القيم - رحمه الله - إلى شيء منها، فقال في تفسيره القيم ص ٢٤٤ - ٢٤٦: وفي إخفاء الدعاء فوائد عديدة: أحدها: أنه أعظم إيماناً، لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع دعاءه الخفي. وليس كالذي قال: إن الله يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا.

وثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم. ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تسأل برفع الأصوات، وإنما تخفض عندهم الأصوات، ويخف عندهم الكلام، بمقدار ما يسمعون ومن رفع صوته لديهم مقتوه، والله المثل الأعلى. فإذا كان ربنا يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت.

ثالثها: أنه أبلغ في التضرع والخشوع؛ الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده. فإن الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألة مسكين ذليل. وهذه الحالة لا يتأتى معها رفع الصوت، بل مع خفضه.

ورابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

وخامسها: أنه أبلغ في جمعية القلب على الله في الدعاء. فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته.

وسادسها: أنه دال على قرب صاحبه من الله، وأنه لاقتربه منه، وشدة حضوره يسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد، وهذا من النكت السرية البديعة جداً.

وسابعها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال، فإن اللسان لا يمل والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته فإنه قد يكلّ لسانه وتضعف بعض قواه. وهذا نظير من يقرأ ويكرر رافعاً صوته، فإنه لا يطول له ذلك بخلاف من يخفض صوته.

وثامنها: أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات والمضعفات. فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحد فلا يحصل له هناك تشويش ولا غيره، وإذا جهر به تفتنت له الأرواح الشريرة الخبيثة من الجن والإنس، فشوشت عليه ولا بد، ومانعته وعارضته، ولو لم يكن إلا أن تعلقها به يفرق عليه همته، فيضعف أثر الدعاء لكفى. ومن له تجربة يعرف هذا، فإذا أسر الدعاء وأخفاه أمن هذه المفسدة.

وتاسعها: الأمان من شر الحاسدين: ذلك أن أعظم النعم على العبد نعمة الإقبال على الله، والتعبد له، والانقطاع إليه والتبتل إليه. ولكل نعمة حاسد على قدرها، دقت أو جلّت، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة. فأنفس الحاسدين المنقطعين متعلقة بها، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد، وألا يقصد إظهارها له. وقد قال يعقوب - عليه السلام - ليوسف: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. ولهذا يوصي العارفون والشيخ بحفظ السر مع الله وأن لا يطلعوا عليه أحداً ويتكتمون به غاية التكم.

وعاشرها: أن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه متضمن للطلب منه والثناء عليه بأسمائه وأوصافه، فهو ذكر وزيادة، كما أن الذكر سمي دعاء لتضمنه الطلب كما قال النبي ﷺ: "أفضل الدعاء الحمد لله" فسمى "الحمد لله" دعاء، وهو ثناء محض. لأن الحمد يتضمن الحب والثناء. والحب أعلى أنواع الطلب للمحبوب، فالحامد طالب لمحبوبه، فهو أحق أن يسمى داعياً من السائل الطالب من ربه حاجة ما. والمقصود أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه وقد قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخَفِيَّةً﴾. فأمر تعالى نبيه ﷺ أن يذكره في نفسه، قال مجاهد وابن جريج: أمروا أن يذكره في الصدر بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت والصياح وتأمل كيف قال في آية الذكر: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ﴾ الآية. وفي آية الدعاء: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرَّعًا وَخَفِيَّةً﴾ فذكر التضرع فيهما معاً وهو التذلل والتمسك والانكسار وهو روح الذكر والدعاء. اهـ

(انظر بدائع الفوائد ٣/٦١٠) (انظر كذلك مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: ١٥٢/١٥)

الأدب الثامن عشر: أن يجزم بالدعاء، ويعزم المسألة، ويوقن بالإجابة:

لا يتردد الإنسان في دعائه، ولكن يجزم بالدعاء ويعزم المسألة، فالدعاء عبادة يجب أن تؤدي بعزيمة وصدق، وليست على سبيل التجربة، وهذا أدعى للقبول والإجابة. وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي

فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)

فإنه تعالى وعد - ولا يخلف الله وعده - أنه من دعاه فإنه يستجيب له، ولهذا ينبغي أن يكون الدعاء بصدق ويقين. وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال

رسول الله ﷺ: " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة... ". (صحيح الجامع: ٢٤٥٠)

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تقولنَّ أحدكم: اللَّهُمَّ اغفر لي إن شئت، اللَّهُمَّ ارحمني إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة، فإنَّ الله تعالى لا يتعاضمه شيء أعطاه ".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولنَّ: اللَّهُمَّ إِن شئت فأعطني؛ فإنه لا مُستكره له ".

وفي الصحيحين أيضاً بلفظ: " إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء، ولا يقل: اللَّهُمَّ إِن شئت فأعطني، فإنَّ الله لا مستكره له ".

وعند البخاري بلفظ: " إذا دعوتُم الله فاعزموا في الدعاء، ولا تقولنَّ أحدكم إن شئت فأعطني، فإنَّ الله لا مُستكره له ".

وقوله ﷺ: " وليعزم المسألة "، أي ليحزم في طلبته، ويحقق رغبته، ويتيقن الإجابة، فإنه إذا فعل ذلك دلَّ على علمه بعظيم ما يطلب من المغفرة والرحمة، وعلى أنه مفتقر إلى ما يطلب مضطراً إليه، وعلى أنه محتاج إلى الله مفتقراً إليه، لا يستغني عن مغفرته ورحمته طرفة عين.

(انظر تيسير العزيز الحميد ص: ٦٥١)

ولهذا فإنَّ الواجب على المسلم إذا دعا الله أن يجتهد ويلحَّ في الدعاء، ولا يقل: " إن شئت "، كالمستثني، بل يدعو دعاء البائس الفقير بالحاح وصدق وجد واجتهاد، مع الثقة الكاملة بالله والطمع فيما عنده، وحسن الظن به سبحانه، وهو جلَّ وعلا يقول كما في الحديث القدسي: " أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني ". (أخرجه البخاري ومسلم)

قال ابن بطال - رحمه الله -: " ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء ويكون على رجاء الإجابة ولا يقنط من الرحمة فإنه يدعو كريماً ". (فتح الباري: ١١/١٤٤)

وقال العلماء: وقوله ﷺ: " لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شئتَ "، فإنه يكره لأنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه، والله منزّه عن ذلك، وهو معنى قول النبي ﷺ في الحديث الآخر: " فإنه لا مستكره له ". وقيل: سبب الكراهة أن في هذا اللفظ صورة الاستغناء عن المطلوب والمطلوب منه ". (شرح النووي على مسلم: ١٧/٣)

تنبيه:

لا يمنع الإنسان شعوره بالتقصير في حق الله، أن يسأله ويتضرع إليه. فقد قال سفيان بن عيينة -رحمه الله-: " لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله إذ قال: ﴿ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ (الحجر: ٣٧، ٣٨)

الأدب التاسع عشر: الإكثار من الدعاء في الرخاء:

فمن آداب الدعاء المهمة ألا يقتصر المسلم على دعائه ربّه في حال الشدّة فقط، بل الواجب أن يدعو ربّه في سرّائه وضرّائه، وشدّته ورخائه، وصحته وسقمه، وفي أحواله كلّها، وملازمة المسلم للدعاء حال الرخاء، ومواظبته عليه في حال السراء سببٌ عظيمٌ لإجابة دعائه عند الشدائد والمصائب والكرب، وقد أخرج الترمذي، والحاكم من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ سرّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء ."

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٢٨) (صحيح الجامع: ٦٢٩٠) (الصحيحة: ٥٩٣)

وقال أبو الدرداء ؓ: " ادع الله في يوم سرّائك لعلّه أن يستجيب لك في يوم ضرّائك ."

(المصنف لعبد الرزاق: ١٨٠/١١) (شعب الإيمان للبيهقي: ٥٢/٢)

فالعبد الصالح من شأنه أن يلزم الدعاء في حالة الرخاء والشدّة أما غير الصالح فإنه لا يلتجئ إلى الله إلا في وقت الشدّة ثم ينساه في وقت الرخاء، وهذا شأن من غفل قلبه عن خالقه ومولاه.

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ اللَّهُ آتِدَادًا ﴾ (سورة الزمر: ٨)، ويقول تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِحَبِيهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ ﴾ (سورة يونس: ١٢)، ويقول تعالى: ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾ (سورة الزمر: ٤٩)، ويقول تعالى: ﴿ وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ (سورة فصلت: ٥١).

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهي تدلُّ دلالة واضحة على ذمِّ مَنْ لا يعرف الله إلا في حال ضرائه وشدّته، أمّا في حال رخائه فإنّه يكون في صدود وإعراض ولهُوَ غفلة وعدم إقبال على الله تبارك وتعالى.

ولهذا قال النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: " تعرّف إلى الله في الرّخاء يعرفك في الشدّة " . (رواه الإمام أحمد وهو في صحيح الجامع: ٢٩٦١).

قال ابن رجب -رحمه الله- في شرح هذا الحديث: " المعنى أنّ العبد إذا اتقى الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه وصحته، فقد تعرّف بذلك إلى الله، وكان بينه وبينه معرفة، فعرفه ربّه في الشدّة، وعرف له عمله في الرّخاء، فنجّاه من الشدائد بتلك المعرفة.

ثمّ أورد ابن رجب عن الضحاك بن قيس أنّه قال: " اذكروا الله في الرّخاء يذكركم في الشدّة، إنّ يونس عليه السلام كان يذكر الله، فلمّا وقع في بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾

(سورة الصافات: ١٤٣) أي: لولا ما تقدم له من العمل الصالح في الرّخاء: ﴿لَلْبَثِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

(سورة الصافات: ١٤٤) أي لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة. وإنّ فرعون كان طاعياً ناسياً لذكر الله، فلمّا أدركه الغرق قال ﴿أَمِنْتُ أَنَّهُ لَإِلَهِ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٩٠)، فقال الله

تعالى: ﴿الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس: ٩١) . (نور الاقتباس لابن رجب ص: ٤٣)

ولهذا فإنّ الواجب على المسلم أن يُقبلَ على الله في أحواله كلّها في اليُسْرِ والعُسْرِ، والرّخاء والشدّة، والغنى والفقر، والصحة والمرض، ومَنْ تعرّف على الله في الرّخاء عرفه الله في الشدّة، فكان له معيّنًا وحافظًا ومؤيّدًا وناصرًا. وحديث الثلاثة الذين دخلوا الغار وانطبقت عليهم الصخرة يشهد لهذا، فإنّ الله فرج عنهم بدعائهم بما كان منهم من الأعمال الصالحة الخالصة في حال الرّخاء من بر الوالدين، وترك الفجور، والأمانة الخفية. فكانت أعمال هؤلاء الثلاثة الصالحة سببًا لتفريج همّهم وكشف كربتهم وإجابة دعوتهم وتحقيق أملهم ورجائهم، فلمّا تعرّف هؤلاء إلى ربّهم في حال رخائهم، تعرّف إليهم ربّهم سبحانه في حال شدّتهم، فأمدّهم بعونه، وأحاطهم بحفظه، وكألهم برعايته وعنايته.

يقول ابن رجب -رحمه الله-: " فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عاملة الله باللطف والإعانة في حال شدّته " . (جامع العلوم والحكم ص ١٧٩)

الأدب العشرون: الإلحاح على الله في الدعاء:

والإلحاح في الدعاء وتكراره يدل على صدق الرغبة والافتقار إلى الله تعالى، وشدة التعلق به، وكان هذا هو هدي النبي ﷺ.

فقد أخرج الإمام مسلم وأبو داود من حديث عبد الله بن مسعود ؓ قال: " كان رسول الله ﷺ إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً " .

وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود ؓ الطويل وفيه: "... فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، ثم قال: " اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش " .

وأخرج البخاري من حديث أنس بن مالك ؓ أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجه المنبر، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، فقال: يا رسول الله، هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا... الحديث " .

وعند مسلم بلفظ: " أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة، من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: اللهم اغثنا، اللهم اغثنا، اللهم اغثنا... " .

فالله سبحانه وتعالى يحب الملحين في الدعاء بخلاف المخلوق الذي إذا أكثر عليه وألحت وكررت طلبك ثقل عليه وتبرم منك، وهنت عليه، وصدق القائل حيث قال:

لا تسألن بني آدم حاجة
وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله
وبني آدم حين يسأل يغضب

فما دام العبد يلح في الدعاء ويطمع في الإجابة، غير قاطع الرجاء، فإنه يستجاب له. فعليك أخي الحبيب بالمداومة على الدعاء مهما تأخرت الإجابة، فليس للعبد ملجأ ولا مفر إلا إلى مولاه عز وجل.

قال أبو الدرداء ؓ: "من يكثر قرع الباب؛ يوشك أن يفتح له، ومن يكثر الدعاء؛ يوشك أن يستجاب له". (شعب الإيمان)

والله يحب الملحين في الدعاء.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَّبِعُ بِالْحَاحِ الْمُلْحِينَ، بَلْ يُحِبُّ الْمُلْحِينَ فِي الدُّعَاءِ، وَيُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَيَغْضَبُ إِذَا لَمْ يُسْأَلَ". (الجواب الكافي ص ٢٣٠)

وقال أيضا -رحمه الله-: "وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالاً، وهو يحب الملحين في الدعاء، وكلما ألح العبد عليه في السؤال أحبه وقربه وأعطاه". (حادي الأرواح: ص ٩١)

وقال الأوزاعي -رحمه الله-: "كان يُقال: أفضل الدعاء الإلحاح على الله والتضرع".

(رواه البيهقي في شعب الإيمان: ٣٨/٢)

وعليك بالمدائمة على الدعاء مهما تأخرت الإجابة، فليس للعبد ملجأ ولا مفر إلا إلى مولاه ﷻ
قال السري السقطي -رحمه الله-: "كن مثل الصبي إذا انتهى على أبيه شهوة فلم يمكنه قعد يبكي لهما، فكن أنت مثله، فإذا سألت ربك ولم يعطك فاقعد فابك له". (شعب الإيمان للبيهقي: ٢٤٦/٣)

تنبيه:

الحديث الذي أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن مسعود ؓ أنه قال: **كان رسول الله ﷺ يعجبه أن يدعو ثلاثاً، ويستغفر ثلاثاً**. (حديث ضعيف)

وكذلك الحديث الذي أخرجه الطبراني وابن عدي في الكامل من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: **إن الله يحب الملحين في الدعاء**. (حديث موضوع)

(انظر السلسلة الضعيفة: ٩٦/٢) (الإرواء: ١٤٣/٣)

الآداب الحادي والعشرون: الدعاء للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات:

فهذا من مقتضيات الأخوة، ومن أسباب إجابة الدعوة، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

(محمد: ١٩). وذكر عن نوح -عليه السلام- قوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (نوح: ٢٨). وقال ﷺ: **من استغفر للمؤمنين والمؤمنات، كتب له بكل مؤمن ومؤمنة**

حسنة. (صحيح الجامع: ٦٠٢٦)

ويحسن أن يُخص بالدعاء الوالدان، والعلماء، والصالحون، والعباد، ومن في صلاحهم صلاح لأمر المسلمين كأولياء الأمور وغيرهم... ويحسن به أيضاً أن يدعو للمستضعفين والمظلومين من المسلمين، وأن يدعو على الظالمين الذين في هلاكهم نصر للإسلام والمسلمين، وراحة للمستضعفين والمظلومين.

الأدب الثاني والعشرون: إذا دعا لغيره فليبدأ بالدعاء لنفسه أولاً:

وهكذا كان يفعل الأنبياء والرسل -عليهم السلام-:

قال تعالى عن إبراهيم -عليه السلام-: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي

وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (إبراهيم: ٤٠، ٤١)

وحكى القرآن قول موسى -عليه السلام-: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

(الأعراف: ١٥١)

وحكى القرآن قول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (الحشر: ١٠)

وهكذا كان النبي ﷺ يفعل.

فقد أخرج أبو داود والترمذي "باب ما جاء أن الداعي يبدأ بنفسه" عن أبي بن كعب ؓ أن رسول الله ﷺ كان إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه. (صحيح الجامع: ٤٧٢٣) (صحيح الترمذي: ٢٦٩٦).

وروى عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: أَسْتَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ؟ قال:

نعم، قد أمر النبي ﷺ بذلك، فإنَّ ذلك الواجب على الناس، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَذُنُوبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، قلت: أفتدع ذلك في المكتوبة أبداً؟ قال: لا، قلت: فبِمَن تبتدأ، بنفسك أم بالمؤمنين؟ قال: بل

بنفسي، كما قال الله ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَذُنُوبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

تنبيه:

والبدء بالنفس في الدعاء ليس بشرط لمن أراد أن يدعو لغيره، فإنه يجوز الدعاء للغير فقط، كما هو وارد في كثير من الأدعية، وقد يقال: إذا أراد الدعاء لنفسه ولغيره فليبدأ بنفسه ثم يُنتهي بغيره، وإذا أراد الدعاء لغيره فَحَسْبُ فلا يلزم أن يبدأ بنفسه، كما مر في دعاء النبي ﷺ لعبيد بن عامر ؓ، حيث دعا لعبيد دون أن يدعو لنفسه. ومما يدل على ذلك أيضاً ما رواه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ؓ قال: قسم النبي ﷺ قسماً، فقال رجل: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: "يرحم الله موسى، قد أذى بأكثر من هذا فصبر". وكذلك دعائه لأنس، ولابن عباس -وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

الأدب الثالث والعشرون: إذا سأل الله فليعظم المسألة:

فالعبد يسأل ربه كل ما يتمناه، فإنه يسأل الكريم سبحانه وتعالى الذي لا يتعاضمه شيء. أخرج ابن حبان والطبراني في الأوسط عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ:

" إذا تمنى أحدكم فليكثر؛ فإنما يسأل ربه ". (صحيح الجامع: ٤٣٧) (الصحيحة: ١٢٦٦)

وفي رواية: " إذا سأل أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه ". (صحيح الجامع: ٥٩١)

قال المناوي - رحمه الله - في فيض القدير: ٣٩٧/١: " وقوله ﷺ: " إذا تمنى أحدكم "؛ على ربه؛ من خير الدارين؛ " فليكثر "؛ الأمانى؛ " فإنما يسأل ربه "؛ الذي رباه؛ وأنعم عليه؛ وأحسن إليه؛ فيعظم الرغبة؛ ويوسع المسألة؛ ويسأله الكثير؛ والقليل؛ حتى شسع النعل؛ فإنه إن لم ييسره؛ لا يتيسر؛ فينبغي للسائل إكثار المسألة؛ وألا يختصر؛ ولا يقتصر؛ فإن خزائن الجود سحاء الليل والنهار؛ أي: دائمة؛ لا ينقصها شيء؛ ولا يفنيها عطاء؛ وإن جل وعظم؛ لأن عطاءه بين الكاف والنون " . اهـ

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم؛ إلا أعطاه بها إحدى ثلاث: إما أن يجعل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلاً . قالوا: إذا نكث. قال: " الله أكثر " .

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٣٣)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليغرم المسألة، وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه " .

وأخرج ابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة، فإنه لا يتعاضم على الله شيء " . (صحيح ابن حبان: ٨٩٦)

قال بعض السلف: " متى أطلق الله لسانك بالدعاء والطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك " .

فالنبي ﷺ في الأحاديث السابقة يعلمنا آداب الدعاء وأن الله لا يعجزه شيء، وأنه يدعو كريماً. فإذا طلب من الله شيئاً في دعائه، فليكثر، وليعظم مسألته، " فإنما يسأل ربه "، وهو سبحانه مالك الملك، وخزائنه لا تنفذ، ولا يعجزه شيء، وهذا من تعظيم الله وتقديره حق قدره، كما فيه دعوة لعلو همة العبد؛ ليطلب معالي الأمور من الله في دعائه. وانظر إلى نبي الله سليمان - عليه السلام - لما أقسم أن يطوف على نسائه جميعاً لتلد كل واحدة منهن مجاهداً يجاهد في سبيل الله، ولم يستثن - أي لم يقل: إن شاء الله - وعندما أدرك ما واقع فيه لم يكتف بأن يسأل الله تعالى المغفرة فحسب، لكنه لكبر نفسه، وعلو همته، وعلمه بسعة فضل ربه سأل أن يهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فقال: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (ص: ٣٥) فاستجاب الله لدعائه، وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، وسخر له الشياطين كل بناء وغواص، وآخرين مقرنين في الأصفاد، ثم قال: ﴿ هَذَا

عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿ (تفسير ابن كثير: ٥٣٩/٤)

الأدب الرابع والعشرون: الدعاء بالأدعية الماثورة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المباركة:

فيستحب لمن أراد الدعاء أن يدعو بالأدعية الماثورة في القرآن والسنة إن أمكن. فمثلاً إذا أراد أن يثبته الله تعالى على الإيمان فليقل: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: ٨)

أو يدعو بدعاء النبي ﷺ: "يا مُقَلِّبَ القلوب ثبت قلبي على دينك".

(رواه الترمذي وابن ماجه عن أم سلمة -رضي الله عنها-) (صحيح الجامع: ٤٨٠١)

وإذا دعا بالقبول فليقل: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة البقرة: ١٢٧)

وهكذا في سائر ما يطلبه ويدعو به، وإن لم يحفظ شيئاً من أدعية القرآن أو السنة، فليدع بما يخطر على قلبه، ما لم يكن في دعائه إثم أو قطيعة رحم.

الأدب الخامس والعشرون: أن يتخير جوامع الدعاء:

فمن الناس من إذا دعا الله فإنه يطيل الدعاء ويفصل فيه بما لا فائدة منه ولا نفع، وخير الهدى هدى النبي ﷺ فقد كان يدعو بجوامع الدعاء؛ وهو الدعاء المختصر الذي يجمع خيري الدنيا والآخرة، ويترك ما سوى ذلك.

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ وَيَدْعُ مَا سِوَى ذَلِكَ". (صحيح أبي داود: ١٤٨٢)

قال الخطابي في كتابه "شأن الدعاء ص ١٥": "وليتخير لدعائه، والثناء على ربه أحسن الألفاظ وأنبلها، وأجمعها للمعاني، لأنه مناجاة العبد لسيده الذي ليس له مثيل ولا نظير". اهـ

ومن جوامع الدعاء مثلاً الحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ علمها هذا الدعاء: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَادَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا". (صحيح ابن ماجه: ٣١١٦) (صحيح الجامع: ١٢٧٦)

وسيأتي المزيد من جوامع الدعاء بمشيئة الله تعالى في ثانيا هذه الرسالة.

الأدب السادس والعشرون: أن يتخير لدعائه أوقات وأحوال الإجابة:

وهناك أوقات وأحوال شريفة يُستجاب فيها الدعاء، وعلى الداعي أن يتحرى هذه الأوقات، ويكثر فيها الدعاء؛ كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل، وكوقت النزول الإلهي، وفي السجود، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وعند نزول المطر، وعند التقاء الجيوش، وآخر ساعة من نهار الجمعة، ودعوة المسافر والمظلوم، ودعوة الصائم، ودعوة الوالد، وسيأتي بيان ذلك بشيء من التفصيل وبالأدلة في ثنايا الرسالة، وبالله التوفيق.

الأدب السابع والعشرون: الأخذ بأسباب الإجابة:

كالتوسل بأسماء الله وصفاته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٨٠). أو يتوسل المرء بإيمانه كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٣) أو التوسل بدعاء رجل صالح يدعو للإنسان، ونحو ذلك.

أو أن يقدم بين يدي دعائه عملاً صالحاً: كأن يتصدق، أو يحسن إلى مسكين، أو يصلي ركعتين، أو يصوم، أو غير ذلك، ليكون هذا العمل وسيلة إلى الإجابة. ويدل على ذلك حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار، فإن النبي ﷺ حكى عنهم أن كل واحد منهم توسل بأعظم أعماله التي عملها لله عز وجل فاستجاب الله دعاءهم، وارتفعت عنهم الصخرة وخرجوا يمشون. وكذلك من أسباب استجابة الدعاء: أكل الحلال.

وَلَمَّا سَأَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ﷺ تَسْتَجَابُ دَعْوَتُكَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: " مَا رَفَعْتُ إِلَىٰ فَمِي لُقْمَةً إِلَّا وَأَنَا عَالِمٌ مِنْ أَيْنَ مَجِئُهَا وَمِنْ أَيْنَ خَرَجَتْ ". (ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم: ٢٧٥/١) وقال وهب بن منبه -رحمه الله-: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ فَلْيُطِيبْ طُعْمَتَهُ ".

الأدب الثامن والعشرون: ألا يشغله الدعاء عن ترك واجب:

فالداعي لا يشغل بالدعاء عن أمر واجب مثل فريضة حاضرة أو يترك القيام بحق والد بحجة الدعاء. ولعل في قصة جريج العابد ما يشير إلى ذلك فعندما ترك إجابة نداء أمه، وأقبل على صلاته، فذعت عليه فابتلاه الله.

قال النووي -رحمه الله-: " قال العلماء: هذا دليل على أنه كان الصواب في حقه إجابتها لأنه كان في صلاة نفل والاستمرار فيها تطوع لا واجب، وإجابة الأم وبرها واجب وعقوقها حرام... ". (صحيح مسلم بشرح النووي: ٨٢/١٦).

الأدب التاسع والعشرون: عدم استعجال إجابة الدعاء:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)

وقال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠)

فمن دعا الله تعالى فلا يعجل ويقول: دعوت الله فلم يستجب لي. وذلك لما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "يُسْتَجَابُ لأحدكم ما لم يعجل، فيقول: دعوتُ ربي فلم يستجب لي".

وفي رواية عند مسلم: "لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدعُ باثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فَيَسْتَحْسِرُ^(١) عند ذلك ويدع الدعاء".

قال ابن بطال-رحمه الله- وقوله: "دعوت فلم يستجب لي" والمعنى أنه يسأم فيترك الدعاء، فيكون كالمان بدعائه على الله، أو أنه أتى من الدعاء ما يستحق الإجابة، فيصير كالمبخل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة، ولا ينقصه العطاء". (فتح الباري: ١١/١٤٠).

وقال ابن حجر-رحمه الله- كما في فتح الباري: "معنى 'يستحسر': ينقطع. وفي الحديث أدب من آداب الدعاء، وهو أن يلزم الطلب ولا ييأس من الإجابة، لما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار. اهـ. (فتح الباري: ١١/١٤١)

وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل، قالوا: يا رسول الله كيف يستعجل؟ قال: يقول: قد دعوتُ ربي فلم يستجب لي".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٥٠)

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من رجل يدعُ بدعاءٍ إلا استُجيبَ له، فإما أن يُعَجَّلَ له في الدنيا، وإما أن يُدَخَّرَ له في الآخرة، ما لم يدعُ باثم، أو قطيعة رحم، أو يستعجل، يقول: دعوتُ ربي فما استجاب لي". (صحيح الجامع: ٥٧١٤) (صحيح الترمذي: ٣٦٠٤)

وأخرج الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ما من مسلم ينصب وجهه إلى الله، يسأله مسألة إلا أعطاه إياها، إما عجلها له في الدنيا، وإما ذخرها له في الآخرة ما لم يعجل"، قالوا: يا رسول الله، وما عجلته؟ قال: يقول: دعوتُ دعوت، ولا أراه يستجاب لي". (صحيح الأدب المفرد: ٥٤٨).

١ - فيستحسر: أي يمل ويعبى فينقطع ويترك الدعاء.

وقال ابن القيم -رحمه الله- "كما في" الجواب الكافي ص 19: "ومن الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه أن يستعجل العبد، ويستبطئ الإجابة، فيستحسر ويدع الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذراً أو غرس غرساً، فجعل يتعاهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله. فالمؤمن الحق ربما يبالغ في الدعاء ويكثر منه، لكن لا يرى له أثراً، ومع هذا لا يتغير أمله ورجاؤه ويلزم الطلب ولا ييأس من الإجابة، والمطلوب هو الصبر والتسليم في جميع الأحوال، وربما لم يستجب الله له لينظر كيف صبره، أو أنه يريد منه أن يكثر التضرع واللجوء إليه ومناجاته، فأما من يريد تعجيل الإجابة ويتذمر إن لم تتعجل، فذاك ضعيف الإيمان، يرى أن له حقاً على ربه، وربما يترك الدعاء إذا تأخرت الإجابة فيكون كالمنان على ربه. فهذا هو يعقوب عليه السلام: بقي سنين في البلاء ورجاؤه لا يتغير، فقد يوسف، وبعد سنين يفقد بنيامين، ومع ذلك لم يتغير أمله ورجاؤه في الله، فقال كما جاء في القرآن: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف: 83). اهـ.

فينبغي على الداعي إذا لم يتحقق له ما أراد، أن يعلم أن الله تعالى سيعطيه ما سأل ولو بعد حين، أو لا يعطيه ما سأل لكن يصرف عنه من السوء بقدر ما سأل، أو يدخرها له في الآخرة.

ودليل ذلك ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من أحد يدعو بدعاءٍ إلا آتاه الله ما سأل، أو كفَّ عنه من السوءِ مثله، ما لم يدعُ بأثمٍ، أو قطيعةٍ رحمٍ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٣١)

وأخرج الترمذي من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوةٍ إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوءِ مثلاً، ما لم يدعُ بأثمٍ، أو قطيعةٍ رحمٍ، ما لم يعجل، يقول: قد دعوتُ ودعوتُ، فلم يُستجب لي". (صحيح الجامع: ٥٦٣٧)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ما من مسلم يدعو بدعوة، ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجلَ له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوءِ مثلاً، قالوا: إذن نكثر^(١)!! قال: الله أكثر^(٢)". زاد الحاكم في روايته: "أو يدخر له من الأجر مثلاً".

وقال ابن علان -رحمه الله-: "وقولهم: "إذا نكثر" أي: إذا كانت الدعوة بما عدا ما ذكر مجابة، نكثر من سؤال خيري الدارين لتحصيلهما بالوعد الذي لا يخلف". (دليل الفالحين: ٧ / ٣٠٤)

١ - إذن نكثر: أي: من الدعاء. وقال القاري: " (إذا نكثرُ) أي: من الدعاء العظيم فوائده " (مرقاة المفاتيح: ٤ / ١٥٣٨)
٢ - الله أكثر: أي: أكثر إحساناً مما تسألون.

قال ابن حجر-رحمه الله- كما في "فتح الباري: ١١/٩٥": "كل داع يستجاب له، لكن تختلف الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه" ثم ذكر هذين الحديثين.

وقال ابن الجوزي-رحمه الله-: "اعلم أن دعاء المؤمن لا يُردّ، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة، أو يعوّض بما هو أولى له عاجلاً أو آجلاً، فينبغي للمؤمن ألا يترك الطلب من ربه، فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض". اهـ (فتح الباري: ١١/١٤١)

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن أحمل همّ الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه". (فتاوى ابن تيمية: ٨/١٩٣)

قال ابن القيم-رحمه الله- في كتابه الجواب الكافي ص ٢٧: "وأخذ الشاعر هذا المعنى فنظمه فقال: لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه من جود كفيك ما عودتني الطلباً فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة. اهـ

الأدب الثلاثون: أن يسأل الله تعالى من خيري الدنيا والآخرة:

فمن الناس من يسأل الله تعالى الدنيا فقط، وهذا الصنف ذمه الله تعالى في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ (البقرة: ٢٠٠)

وأثنى الله تعالى على من يسأله من خيري الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (البقرة: ٢٠١، ٢٠٢) فالعبد يسأل ربه كل شيء من أمور الدنيا والآخرة صغيرها وكبيرها، فإن أي شيء إن لم ييسره الله لم يتيسر.

ومن أجمع الأدعية التي وردت في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة البقرة: ٢٠١)، فهذا الدعاء لم يترك شيئاً من خيري الدنيا والآخرة إلا تضمنه.

وخزائنُ الله لا تتفدّ ولا تنقصُ بالعطاء، فعلى العبد أن يكثر من سؤاله وينزل جميع الحوائج به، وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "يُدُّ الله ملائكة لا تغيبها نفقة، سحَاء الليل والنهار، أفرايتم ما أنفق ربكم منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه".

الأدب الحادي والثلاثون: أن يسأل الله كل صغيرة وكبيرة:

وهذا الأمر يغفل عنه كثير من الناس، فتراهم لا يلجأون إلى الله ولا يسألونه إلا إذا نزلت بهم عظام الأمور، وشدائدها. أما ما عدا ذلك فلا يسألونه، لظنهم أنه أمر يسير لا داعي لسؤال الله من أجله. وهذا خطأ، فاللائق بالمسلم أن يسأل ربه كل صغيرة، أو كبيرة.

وقد جاء في سنن الترمذي بسند ضعيف أن النبي ﷺ قال: " ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح. وحتى يسأله شئع نعله^(١) إذا انقطع ". (السلسلة الضعيفة: ١٣٦٢)

وفي رواية قال ﷺ: " سَلُوا اللَّهَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الشَّيْعِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ لَمْ يُبَسِّرْهُ لَمْ يَتَيْسَّرْ ". (أخرجه الترمذي وابن السني في عمل اليوم والليلة "باب ما يقول إذا انقطع شئعه") (وضعه الشيخ الألباني في الضعيفة: ١٣٦٢)، ولكن الحديث صحيح من قول عائشة -رضي الله عنها- موقوفاً عليها، انظر مسند أبي يعلى (٤٥٦٠)، وعمل اليوم والليلة (٣٥٧)

وإن كانت الأحاديث في هذا الباب ضعيفة إلا أن المعنى صحيح، وبشهادتها كثير من الأدلة الشرعية منها قول النبي ﷺ: " إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ ".

(رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ؓ وقد مر بنا) (صحيح الترمذي: ٢٦٨٦)

وقوله: " حتى الشئع " : إشارة أن ما فوقه أولى وأولى.

فإنه سؤال الله في كل صغيرة وكبيرة تدل على شدة تعلق العبد بربه وافتقاره إليه في كل الأمور.

وفي الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى: " يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمَكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسَكُمْ... يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ". (رواه مسلم)

ويقول ابن رجب -رحمه الله- في "جامع العلوم والحكم: ٢٢٥/١:

" وفي الحديث دليل على أن الله يحب أن يسأله العباد جميع مصالح دينهم ودنياهم من الطعام والشراب والكسوة وغير ذلك، كما يسألونه الهداية والمغفرة، وفي الأثر: (ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شئع نعله إذا انقطع)، وكان بعض السلف يسأل الله في صلاته كل حوائجه، حتى ملح عجينه وعلف شاته، وفي الإسرائيليات: أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب؛ إنه ليعرض لي الحاجة من الدنيا، فأستحي أن أسألك. قال: سلني حتى ملح عجينك وعلف حمارك، فإنَّ كلَّ ما يحتاج العبد إليه إذا سأله من الله، فقد أظهر حاجته فيه، وافتقاره إلى الله، وذاك يحبه الله ". اهـ

١ - الشئع: أحد سيور النعل وهو الذي يدخل بين الأصبعين، ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل. (انظر لسان العرب، ٨/ ١٨٠). ومعنى " وحتى يسأله شئع نعله إذا انقطع " : أي حتى يسأله إصلاح النعل إذا انقطع.

الأدب الثاني والثلاثون: أن يحسن الظن بربه عند الدعاء:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: "أنا عند ظن عبدي بي...".

وفي رواية عند الإمام أحمد وابن حبان: "يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً فله، وإن ظن شراً فله". (صحيح الجامع: ٤٣١٥)

وفي رواية: "يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء".

يعني: إن ظن بالله خيراً فله، وإن ظن به سوا ذلك فله، فالله سبحانه عند منتهى أمل العبد به، وعلى قدر ظن واعتقاد العبد فيه، ويكون عطاء الله جزاؤه من جنس ما يظنه العبد فيه ثواباً أو عقاباً، خيراً أو شراً، فمن ظن بالله أمراً عظيماً وجده وأعطاه الله إياه، والله لا يتعاضمه شيء.

فمن ظن بربه خيراً أفاض الله عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه جميل تفضيلاته، ونثر عليه محاسن كراماته وسوابغ أعطياته.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة". (صحيح الجامع: ٢٤٥٠).

وحق على العبد أن يظن بربه خيراً، وأن ينتظر منه فضلاً، وأن يرجو من مولاه لطفاً، فإن من أمره في كلمة "كن"، جدير أن يوثق بموعوده، وأن يتعلق بعهوده، فلا يجلب النفع إلا هو، ولا يدفع الضر إلا هو، وله في كل نفس لطف، وفي كل حركة حكمة، وفي كل ساعة فرج، جعل بعد الليل صباحاً، وبعد القحط غيثاً، يُعطي ليُشكر، ويبتلي ليعلم من صبر، يمنح النعماء ليسمع الثناء، يُسلط البلاء ليرفع إليه الدعاء، فحري بالعبد أن يقوي معه الاتصال، ويمد إليه الحبال، ويكثر السؤال، قال تعالى: ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ

مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء: 32) وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف: ٥٥) (لا تحزن ص 345 بتصرف)

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "وليتأمل العاقل هذا في نفسه وفي غيره وليعلم أن إجابة الله لسائليه ليست لكرامة السائل عليه، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه وشقوته ويكون قضاؤها له من هوانه عليه وسقوطه من عينه. ويكون منعه منها، لكرامته عليه ومحبتة له فيمنعه حماية وصيانة وحفظاً لا بخلاً، وهذا إنما يفعله بعبده الذي يريد كرامته ومحبتة ويعامله بلطفه فيظن بجهله أن الله لا يحبه ولا يكرمه ويراه يقضي حوائج غيره فيسيء ظنه بربه وهذا حشو قلبه ولا يشعر به، والمعصوم من عصمه

الله". اهـ (مدارج السالكين: ٧٩/١)

الأدب الثالث والثلاثون: الإكثار من الدعاء:

فالمراد بالإكثار من الدعاء أمران: الإلحاح فيه، وتنوع الدعاء، فيسأل المسلم ربه كل شيء من خيرى الدنيا والآخرة، ويلج على الله في هذا السؤال ويكرره، لأن ذلك من تمام عبادته وكمال التوكل عليه وحسن الظن به والرجاء فيه.

والإنسان الذي يعلم أن الدعاء عبادة كما أخبر بهذا النبي ﷺ فقال: **"الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ"**^(١) ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠) .

(أخرجه الإمام أحمد وأبو داود عن النعمان بن بشير ﷺ) (صحيح الجامع: ٣٤٠٧) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٢٧) فإنه يتقرب إلى الله تعالى بهذه العبادة، ويكثر منها، لأنها من أكرم وأحب العبادات إلى الله تعالى، فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد وابن ماجه والترمذي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **"ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء"**.

(صحيح الأدب المفرد: ٥٤٩) (صحيح الجامع: ٥٣٩٢) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٢٩) وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"ما من مسلم يدعو بدعوة، ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا: إذن نكثر!! قال: الله أكثر"**.

وأخرج ابن حبان والطبراني في الأوسط عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: **"إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ"**. (السلسلة الصحيحة: ١٢٦٦) (صحيح الجامع: ٤٣٧)

وعلى العبد أن يكثر من سؤال الله العافية، وقد أمر النبي ﷺ بذلك.

فقد أخرج الطبراني والحاكم أن النبي ﷺ قال لعنه العباس ﷺ: **"يا عم، أَكْثِرِ الدُّعَاءَ بِالْعَافِيَةِ"**.

(صحيح الجامع: ١١٩٨)

وأخرجه الإمام أحمد والترمذي عن العباس بن عبدالمطلب ﷺ قال: **"قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلَّمَنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ، قَالَ: "سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ"، فَمَكَّثْتُ أَيَّامًا ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلَّمَنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ، فَقَالَ لِي: "يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ! سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"**.

(صحيح الترمذي: ٣٥١٤)

١ - قال الخطابي رحمه الله وقوله ﷺ: "الدعاء هو العبادة": معنى أنه معظم العبادة، أو أفضل العبادة، كقولهم: الناس بنو تميم، والمال: الأبل وكقول النبي ﷺ: "الحج عرفة".

الأدب الرابع والثلاثون: أن يُعظم الرغبة في الدعاء، فيدعو الله بمعالي الأمور:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيُغْفِرَ الْمَسْأَلَةَ، وَلِيُعْظِمَ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ."

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في "فتح الباري": "وَمَعْنَى قَوْلِهِ: "لِيُعْظِمَ الرَّغْبَةَ" أَيُّ يُبَالِغُ فِي ذَلِكَ بِتَكَرُّرِ الدَّعَاءِ وَالْإِلْحَاحِ فِيهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْأَمْرُ بِطَلَبِ الشَّيْءِ الْعَظِيمِ الْكَثِيرِ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا فِي آخِرِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ: "فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ". اهـ

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: "إِذَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ، فَارْفَعُوا فِي الْمَسْأَلَةِ، فَإِنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يَنْفَدُهُ شَيْءٌ".

(انظر جامع العلوم والحكم: ٤٨/٢).

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ؛ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ -أَرَاهُ- فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ".

وأخرج أبو يعلى وابن حبان والحاكم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَعْرَابِيٍّ فَأَكْرَمَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَعَهَّدْنَا ائْتِنَا. فَأَتَاهُ الْأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: نَاقَةٌ بَرَحِلُهَا وَيَحْلُبُ لِبَنِي أَهْلِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَجَزَ هَذَا أَنْ يَكُونَ كَعَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: مَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: إِنَّ مُوسَى حِينَ أَرَادَ أَنْ يَسِيرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ضَلَّ عَنْهُ الطَّرِيقُ، فَقَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ يَوْسَفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ أَلَا نَخْرُجُ مِنْ مِصْرَ حَتَّى تُنْقَلَ عِظَامُهُ مَعَنَا. فَقَالَ مُوسَى: أَيُّكُمْ يَدْرِي أَيْنَ قَبْرُ يَوْسَفَ؟ فَقَالَ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: مَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَكَانَ قَبْرِهِ إِلَّا عَجُوزُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مُوسَى فَقَالَ: دُلِّينَا عَلَى قَبْرِ يَوْسَفَ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي. فَقَالَ لَهَا: مَا حُكْمُكَ؟ قَالَتْ: حُكْمِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ. فَكَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: أَعْطَاهَا حُكْمَهَا. فَأَعْطَاهَا حُكْمَهَا، فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بَحِيرَةٍ مُسْتَنْقَعَةٍ مَاءٍ، فَقَالَتْ لَهُمْ: أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ. فَلَمَّا أَنْضَبُوا، قَالَتْ لَهُمْ: احْفَرُوا. فَحَفَرُوا فَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يَوْسَفَ، فَلَمَّا أَنْ أَقْلَوْهُ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ".

(الصحيحة: ٣١٣)

الأدب الخامس والثلاثون: الإكثار من النوافل، وهذا أرجى لإجابة الدعوة:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْظِيئَةٍ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاعَتَهُ..."

الأدب السادس والثلاثون: أن يقول لمن أسدى إليه معروفًا: جزاك الله خيرًا:

فقد أخرج أبو داود والنسائي من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه".
(إرواء الغليل: ١٦١٧) (الصحيح: ٢٥٤)

• وأفضل ما يكافأ به هو أن يقال له: جزاك الله خيرًا.

فقد أخرج الترمذي والنسائي في السنن الكبرى من حديث أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "من صنع إليهم معروفًا فقال لفاعله جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء".
(صحيح الجامع: ٦٣٦٨)

- وفي رواية: "إذا قال الرجل لأخيه: جزاك الله خيرًا، فقد أبلغ في الثناء".

(رواه الخطيب البغدادي عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- وهو في صحيح الجامع: ٧٠٨)
وقوله ﷺ: "فقد أبلغ في الثناء"، أي: بالغ في أداء شكره؛ وذلك أنه اعترف بالتقصير، وأنه ممن عجز عن جزائه وثنائه، ففوض جزاءه إلى الله؛ ليجزيه الجزاء الأوفى. وقيل: هذا فيمن لم يجد شيئًا لإثابته به، وقيل: بل مطلقًا.

الأدب السابع والثلاثون: التأمين على الدعاء من المستمع:

فعندما يدعو الداعي، ويؤمن المستمع ويقول: آمين: أي: يا رب استجب، فالتأمين هو طلب الإجابة من الله، وكأنه تأكيدًا لما تقدم من الدعاء وتكرارًا له، وزيادة في الإلحاح، ويدل على هذا قصة دعاء موسى -عليه السلام- على فرعون وقومه، وتأمين هارون -عليه السلام- على دعاء أخيه، فقال تعالى:

﴿قَدْ أَجِيبْتُ دَعْوَتُكُمَا﴾ (يونس: ٨٩). أي للداعي (موسى) والذي يؤمن على الدعاء (هارون).

(انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤١١/٢).

بدء ومخالفات الدعاء:

١ - دعاء غير الله - عز وجل :-

من المعلوم أن الدعاء عبادة، كما أخبر بذلك النبي ﷺ فقال كما عند أهل السنن: "الدعاء هو العبادة" لكن هناك من صرف هذه العبادة لغير الله، فذهب يدعو الأموات من دون الله تعالى ويطلب منهم، وما علم هذا المسكين أن الأموات لا يملكون لأنفسهم جلب نفع أو دفع ضرر، فضلاً عن أن يملكوه لغيرهم، ولقد جاءت الآيات القرآنية تؤكد هذا المعنى، وثبّين ضلال من يفعل ذلك. قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (الإسراء: ٥٦، ٥٧)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمُطْلُوبِ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٧٣، ٧٤)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِنْ يَسْسِسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يونس: ١٠٦، ١٠٧)

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: "ولا تدع يا محمد من دون الله معبودك وخالقك شيئاً لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا. اهـ

فإنه سبحانه المنفرد بالملك والقهر، والعطاء والمنع، والضر والنفع، دونه كل ما سواه، فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده، المعبود وحده، فإن العبادة لا تصلح إلا لمالك الضر والنفع.

قال تعالى: ﴿... قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (الزمر: ٣٨)

قال شارح كتاب "التوحيد" الشيخ عبد الرحمن حسن آل الشيخ - رحمه الله -: "فاعتقد عبّاد القبور والمشاهد نقيض ما أخبر به الله تعالى، واتخذوهم شركاء لله في استجلاب المنافع ودفع المكاره، بسؤالهم والالتجاء إليهم بالرغبة والرغبة والتضرع، وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها إلا الله تعالى، واتخذوهم شركاء لله في ربوبيته وألوهيته، وجعلوا لهم نصيباً من التصرف والتدبير، وجعلوهم معاذاً لهم وملاذاً في الرغبات والرهبات ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ٤٠، ٤١)

وتأكيداً على هذا الأصل الأصيل، يقول رب العالمين في كتابه الكريم: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (فاطر: ١٣-١٤)

يقول شارح كتاب "التوحيد" الشيخ عبد الرحمن حسن آل الشيخ -رحمه الله- في شرح هذه الآية: "يخبر تعالى عن حال المدعوين من دونه بما يدل على عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي الملك، وسماع الدعاء والقدرة على استجابته، فمتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته، فكيف إذا عُدت بالكلية؟

- فنفي عنهم الملك بقوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، والحسن، وقتادة: "القطمير": اللفافة التي تكون على نواة التمر، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (النحل: ٧٣)

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ...﴾ (سبا: ٢٢، ٢٣)

- ونفي عنهم سماع الدعاء بقوله: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ...﴾؛ لأنهم ما بين ميت أو غائب عنهم، مشغول بما خلق له، أو مسخر بما أمر به كالملائكة، ثم قال: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ لأن ذلك ليس لهم، فإن الله تعالى لم يأذن لأحد من عباده في دعاء أحد منهم، لا استقلالاً ولا واسطة، وقوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ...﴾ (فاطر: ١٤)؛ قال ابن كثير: يتبرؤون منكم.

وتبين من خلال الآية السابقة أن دعوة غير الله شرك.

- وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ...﴾ (فاطر: ١٤)

كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (الأحقاف: ٦، ٥)

- وقوله تعالى: ﴿... وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

أي: ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه مثل خبير بها، قال قتادة: ويعني نفسه - تبارك وتعالى - فإنه أخبر بالواقع لا محالة.

- والمشركون قالوا عن معبوداتهم: تملك وتسمع وتستجيب وتشفع لمن دعاها، ولم يلتفتوا إلى ما أخبر به الخبير من أن كل معبود ينادي عابده يوم القيامة، ويتبرأ منه، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزَلَّلْنَاهُمْ مِنْكُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾

(يونس: ٢٨-٣٠)

فالكيس يستقبل هذه الآيات فيجرد أعماله لله وحده دون كل ما سواه ممن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضررًا. - وبين رب العالمين في كتابه الكريم أن هؤلاء الذين يدعوهم الناس من دون الله لا يسمعون دعاءهم، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ مَدَّيْرِينَ﴾ (النمل: ٨٠)

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ (فاطر: ٢٢)

هذه قاعدة كونية ثابتة لا تتغير: وهي أن الميت (أي ميت) لا يسمع، إلا من جاء في حقه دليل خاص، وفي حالات خاصة، فهذا خصوص يبقى معه العموم على حاله، فمن أين الدليل على أن الموتى يسمعون؟

ولو فرض جدلاً أنهم يسمعونهم، فهل رخص لهم في أن يدعوهم، ويستغيثوا بهم من دون الله، وهل أخبرهم الله أنهم مَحْوَلُونَ بإجابة دعائهم، والعمل على إنقاذهم عند الاستغاثة؟ سؤال يبحث عن إجابة، ولكن لا مجيب.

قال الشيخ ابن باز -رحمه الله- كما في "مجموع فتاوى ومقالات متنوعة" (٣٢٠/١): أما الاستغاثة

بالأموات وأهل البيت، فذلك من الشرك الأكبر بإجماع أهل العلم، لقوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا

بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٧) وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ

اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨)، وقوله ﷺ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ

غَافِلُونَ﴾ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (الأحقاف: ٥-٦)، والآيات في مثل هذا

المعنى كثيرة، وقال النبي ﷺ: "الدعاء هو العبادة". اهـ (أخرجه أهل السنن الأربعة بإسناد صحيح)

وقال محمد أحمد باشميل في كتابه "كيف نفهم التوحيد": إن الله تعالى قال في حق المشركين الأولين:

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٥)

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَغْرَضْتُمُوهُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (الإسراء: ٦٧)

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ٦٣، ٦٤) فهذه الآيات تثبت أن أولئك المشركين إذا ركبوا في البحر وتعرضوا للخطر فتوقعوا نزول قارعة نسوا آلهتهم من الأولياء وغيرهم، وكفروا بهم، وأخلصوا الدين لله وحده، وتوجهوا إليه بالدعاء، مُعَلِّقِينَ عليه وحده الرجاء؛ لأنهم كانوا يعرفون تمامًا أن الذين يدعونهم من دونه هم أحقر وأضعف من أن يجلبوا لهم أية مساعدة، أو يقدموا لهم أي عون في تلك اللحظة الحرجة. بل لأنهم كانوا يدركون أن مَنْ يدعون من دون الله أعجز من أن يسمعوا لهم صوتًا، فضلًا أن يجيبوا لهم دعاء، لذا فشريط المغالطات المعروض أمام بصائرهم يتمزق في تلك اللحظة الفاصلة، وتتجلى أمامهم الحقيقة جلية واضحة، وهي أن أحدًا غير الله . مهما كان . لا يمكن الالتجاء إليه والتعلق به ودعاؤه. فهم يلجأون إلى الله وحده، فيخلصون له الدين، ويدعون ويتضرعون إليه، ويطلبون منه العون والمدد دون سواه، ويطلبون مخلصين لله الدين ما داموا في منطقة الخطر، ولكنهم إذا اجتازوا هذه المنطقة ونجوا إلى البر عادوا فيشركون مع الله غيره في الدعاء، والذبح، والنذر، فسامهم الله بسبب ذلك مشركين، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٥)، فهذا هو حال المشركين الأولين في إخلاصهم الدين لله، وتوجههم إليه وحده بالدعاء عندما يجذبهم أمر، أو يحرق بهم خطر.

أما مشركو هذا الزمان من القبوريين، فهم على النقيض من المشركين الأولين، فلا يدعون الله، ولا يتضرعون إليه إلا في الرخاء، أما إذا اشتد بهم كرب أو ضاق بهم مسلك، أو تعذر عليهم مطلب، فإنهم ينسون الله ﷻ، ويذكرون أولياءهم، فيتقربون إليهم في ضراعة وخشوع بالدعاء، والذبح، والنذر، والخوف، والرجاء.

والقبوريون إذا ركبوا البحر وأحرق بهم الخطر نسوا الله ﷻ، وذكروا أولياءهم، وسارعوا بالابتهال والدعاء إليهم مستغيثين ومستجدين، قائلين في ذلة وضراعة: "يا بدوي، يا جيلاني، يا رفاعي.. إلخ فتراهم يناجونهم وكأنهم عندهم حاضرون، ولو رأيتهم في هلع وذلة كيف يتبارون في نذر النذور لهؤلاء المقبورين، ويتعهدون بتقديم القرابين عند قبورهم إن هم نجوا من الغرق . لأدركت مدى حقارة الشرك وخسة الكفر التي تُمرِّغ كرامة الإنسان في مزابلها وأحوالها، حيث تتحدر به من مرتبة الإنسان العاقل إلى منزلة أخط من منزلة الأنعام السائمة.

وأي حقارة وخسة ومهانة أخط من أن ينصرف الإنسان بقلبه عن خالقه ورازقه، عن ربه الذي هو معه يسمع ويرى، ثم يتوجه في ضراعة وخشوع إلى عظام نخرة عجزت عن صد غارات الدود الذي اقتتل على التهام اللحم المحيط بها في القبر يتوجه إليها، فيطلب منها العون والمدد داعيًا إياها ومستغيثًا بها لتسارع لإنقاذه من الغرق؟!!

وصدق الله العظيم حيث يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ (الأحقاف: ٥). اهـ

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما في "مجموع الفتاوى" (٤٥٦/١٧):

"وهكذا كثير من أهل البدع والضلال والشرك المنتسبين إلى هذه الأمة، فإن أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهو ميت، ويرى ذلك الشخص قد أتاه في الهواء، ودفع عنه بعض ما يكره، أو كلمه ببعض ما سألته عنه، وهو لا يعرف أن تلك شياطين تصوّرت على صورته لتضلّه، وتضل أتباعه، فتحسّن لهم الإشراف بالله ودعاء غير الله". اهـ

جاء في كتاب "المجموع الثمين" لابن عثيمين -رحمه الله- وكذا كتاب "تيسير العزيز الحميد" لسليمان ابن عبد العزيز: أن الدعاء قسمان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة: وكلاهما متلازمان. واعلم أن الدعاء عبادة من أجل العبادات لا يصرف إلا لله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (المائدة: ٧٦) فالمعبود لا بد أن يكون مالكا للضر والنفع، فهو يدعى لجلب النفع ودفع الضر دعاء مسألة، ويدعى خوفاً ورجاءً دعاء عبادة، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (الأعراف: ٥٥) وبهذا تعلم أن من توجّه إلى القبور يسأل أصحابها قضاء الحاجات وتفريج الكربات، أو طاف حول القبور وذبح لها النذور، أو طلب منهم أن يشفعوا له عند الله، أو دعاهم من دون الله، فهذا يقول: "يا علي"، وهذا يقول: "يا عبد القادر"، وهذا يقول: "يا ابن علوان"، وهذا يدعو "البدوي"، وهذا يدعو "العبدروس"، بل بلغ الأمر إلى أن سألوهم مغفرة الذنوب، وترجيح الميزان، ودخول الجنة، والنجاة من النار، والتثبيت عند الموت والسؤال، وغير ذلك من المطالب التي لا تطلب إلا من الله. اعلم أن من فعل ذلك أو غيره مما لا يطلب إلا من الله فقد دعا غير الله، وتوجه إلى سواه، ومن دعا غير الله فقد عبد غير الله، ومن عبد غير الله فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج عن الإسلام الذي يوجب لصاحبه الخلود الأبدي في النار وتحريم الجنة عليه". (تيسير العزيز الحميد)

واعلم أنه قد أجمع العلماء أن من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فهو مشرك كافر، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُتَّقِدُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ (الزمر: ١٩) فإذا كان النبي ﷺ لا يقدر على تخليص أحد من النار فكيف بغيره؟! قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (الجن: ٢١، ٢٠). يعني: ملتجأ.

ومن الناس من يقصد القبور لسؤال أصحابها وعبادتهم من دون الله، فمنهم من يكشفون الرعوس باكين متذللين متضرعين سائلين مطالبهم، ومنهم من يسجد لها إذا رأوها، ويعفرون وجوههم في التراب تعظيمًا لها وخضوعًا لمن فيها، ينادي صاحب القبر: "يا سيدي فلان، جئتك من بلاد بعيدة قاصدًا فلا تخيبي"، وإذا قحط المطر أو عقرت المرأة من الولد، أو جاء العدو، أو حلّ الفقر والمرض فزعوا إلى صاحب القبر وبكوا عنده، فإن جرى المقدور وقدر الله حصول شيء مما طُلب استبشروا وفرحوا ونسبوا ذلك إلى صاحب القبر، وإن لم يُقدّر الله شيئًا فلم يحصل المطلوب اعتذروا عن صاحب القبر بأنه إما غائب في مكان آخر، أو ساخط عن بعض أعمالهم، أو أن اعتقادهم في الولي ضعيف، أو أنهم لم يعطوه النذر، أو لم يمنحوه ما يستحق في زعمهم من التعظيم والعبادة". (تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد العزيز)

سُئِلَ الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: ما حكم دعاء أصحاب القبور؟

فأجاب بقوله: الدعاء ينقسم إلى قسمين: القسم الأول: دعاء عبادة، ومثاله الصلاة، والصوم، وغير ذلك من العبادات، فإذا صَلَّى الإنسان، أو صام، فقد دعا ربه بلسان الحال أن يغفر له، وأن يجيره من عذابه، وأن يعطيه من نواله، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠) فجعل الدعاء عبادة، فمن صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله، فقد كفر كفرًا مخرجًا عن الملة، فلو ركع الإنسان، أو سجد لشيء يعظمه، كتعظيم الله في هذا الركوع، أو السجود لكان مشركًا خارجًا عن الإسلام، ولهذا منع النبي ﷺ من الانحناء عند الملائكة سداً للريقة الشرك: "فسئل عن الرجل يلقي أخاه، أينحنى له؟ قال: لا". وما يفعله بعض الجهال إذا سلّم عليك انحنى لك خطأ، ويجب عليك أن تبين له ذلك، وتنهاه عنه.

القسم الثاني: دعاء المسألة، وهذا ليس كله شركًا، بل فيه تفصيل: أولاً: إن كان المدعو حيًّا قادرًا على ذلك فليس بشرك، كقولك: "اسقني ماءً" لمن يستطيع ذلك، قال ﷺ: "من دعاكم فأجيبوه".

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ (النساء: ٨) فإذا مدّ الفقير يده وقال: "ارزقني"، أي: أعطني فهو جائز، كما قال تعالى: ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾

ثانيًا: إن كان المدعو ميتًا، فإن دعاءه شرك مخرج عن الملة. ومع الأسف أن في بعض البلاد الإسلامية من يعتقد أن فلانًا المقبور الذي بقي جثة، أو أكلته الأرض ينفع أو يضر، أو يأتي بالنسل لمن لا يولد له، وهذا - والعياذ بالله - شرك أكبر مخرج عن الملة، وإقرار هذا أشد من إقرار شرب الخمر، والزنا، واللواط؛ لأنه إقرار على كفر، وليس إقرارًا على فسوق فقط، فنسأل الله أن يُصلح أحوال المسلمين. (المجموع الثمين: ١٢١/٢)

٢- التغني في الدعاء:

لم يُنقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه - رضي الله عنهم - فيما علمتُ التغني بالدعاء، لا في القنوت ولا في غيره، فأخشى أن يكون ما استحسنته أكثر الأئمة في هذه الأيام محدثاً!!

(صحيح فقه السنة: ٣٩٢/١)

وقد قال ابن الهمام -رحمه الله-: "... لا أرى تحرير النغم في الدعاء - كما يفعله القراء في هذا الزمان - يَصُدُّرُ ممَّن فهم معنى الدعاء والسؤال، وما ذلك إلا نوع لعب، فإنه لو قُدِّرَ في الشاهد (أي: الواقع) سائلُ حاجة من مَلِكٍ، أدَّى سؤاله وطلبه بتحرير النغم فيه، من الرفع والخفض، والتقريب والرجوع كالتغني، نُسبَ البتة إلى قصد السخرية واللعب، إذ مقام طلب الحاجة التضرع لا التغني". اهـ.

(فتح القدير: ٣٧٠/١)

وقال أيضًا في "نفس المصدر: ٢٦١/١-٢٦٣":

ما تعارفه الناس في هذا الزمان من التمثيط، والمبالغة في الصياح، والاشتغال بتحريرات النغم -يعني في الدعاء- إظهارًا للصناعة النغمية، لا إقامة للعبودية، فإنه لا يقتضي الإجابة بل هو من مقتضيات الرد. اهـ.

٣- الاعتداء في الدعاء:

أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن مغفل ؓ أنه سمع ابنه يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا، فَقَالَ: أَيُّ بُنْيٍّ! سَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدَّعَاءِ وَالطُّهُورِ".

(صحيح أبي داود: ٨٧) (صححه الألباني في الإرواء: ١٧١/١)

قال القرطبي -رحمه الله- في "تفسيره: ٧/ ١٤٤": "الاعتداء في الدعاء على وجوه منها: الجهر الكثير والصياح ومنها: أن يدعو الإنسان لنفسه بما لا يستحق بأن تكون له منزلة نبيٍّ، أو أن يدعو طالبًا معصية، أو أن يدعو بما يخالف ما في الكتاب والسنة". اهـ بتصرف.

فمن الناس مَنْ يتكَلَّفُ، عن طريق انتقاء أدعية فيها تمطيط، وتطريب، وتلحين، وذكر أمور تفصيلية من أحوال الموت، والبعث والنشور، لتحريك عواطف المأمومين، وإزعاج جوارحهم، وانفجارهم في البكاء، والشهيق، والصراخ والعويل، وارتفاع الأصوات بالعويل والضجيج وهذا كله من الاعتداء في الدعاء،

وهذا مخالف لقول رب العالمين: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ نَضِرْعَا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]

قال ابن جريج -رحمه الله- في تفسيرها: " من الاعتداء: رفع الصوت، والنداء في الدعاء، والصياح، وكانوا يؤمرون بالتضرع والاستكانة ". (تفسير البغوي: ١٦٦/٢)، (تفسير القرطبي: ٢٠٧/٨)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: " كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك ". (صحيح الجامع: ٤٩٤٩)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود عن ابن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنهما-:

" سمعني أبي، وأنا أقول: اللهم إني أسألك الجنة، ونعيمها، وبهجتها، وكذا... وكذا، وأعوذ بك من النار، وسلاسلها، وأغلالها، وكذا... وكذا، فقال: يا بني: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيكون قوم يعتدون في الدعاء، فإياك أن تكون منهم، إن أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها من الخير، وإن أُعِدَّتْ من النار أُعِدَّتْ منها وما فيها من الشر ". (صحيح أبي داود: ١٣١٣)

ومن الاعتداء في الدعاء:

أ- أن يشتمل الدعاء على شيء من التوسلات الشريكية، كأن يُدعى غير الله، وهو من أقبح أنواع الاعتداء في الدعاء.

ب- أن يشتمل الدعاء على شيء من التوسلات البدعية، كأن يُتوسَّل بذات النبي أو بجاهه، فهذا التوسل بدعي.

ج- ومن الاعتداء في الدعاء سؤال الله ما لا يليق بالسائل من المنازل والدرجات، كأن يسأل الله منازل الأنبياء والمرسلين، أو يكون ملكًا أو نحو ذلك.

د- ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل ربه الوسيلة التي لا تتبغى إلا لعباد الله، كالوسيلة التي يرجوها النبي ﷺ وهي له.

هـ - وكذلك من العدوان في الدعاء أن يدعو الله غير متضرع، بل دعاء هذا يكون كالمستغني المدلي على ربه.

و- ومن الاعتداء في الدعاء كذلك الدعاء على المؤمنين باللَّعنة والخزي والهوان، قال بعض السلف في معنى المعتدين في الآية المتقدمة: " هم الذي يدعون على المؤمنين فيما لا يحلُّ، فيقولون: اللَّهُمَّ اخْزِهِم، اللَّهُمَّ الْعَنَّهُم ". (تفسير البغوي: ١٦٦/٢)

وجاء عن سعيد بن جبير في معنى الآية السابقة أنه قال: " لا تدعوا على المؤمن والمؤمنة بالشر: اللَّهُمَّ اخْزِهِم، اللَّهُمَّ الْعَنَّهُم، فإنَّ ذلك عدوان. (رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور للسيوطي: ٤٧٥/٣)

ز- التفصيل الممل في الدعاء: فالنبي ﷺ كان يحب الجوامع في الدعاء، ويدع ما سوى ذلك.

قال الخطابي - رحمه الله -: وليتخير الداعي لدعائه والثناء على ربه أحسن الألفاظ وأنبهها، وأجمعها للمعاني؛ لأنه مناجاة للعبد سيّد العالمين، الذي ليس له مثل ولا نظير، والقرآن والسنة فيهما جوامع الدعاء. اهـ.

فمثلاً تجد كثيراً من الدعاة يقول: "اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا وأجدادنا وجداتنا وأخوانا وخالاتنا وأعمامنا وعمّاتنا" ويمضي في تعداد أقاربه، وينتقل إلى الدعاء لجيرانه وزملائه، في حين أنه يكفي هذا لو قال: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (الحشر: ١٠)

د - ومن الاعتداء في الدعاء أيضاً تكلف السجع:

فقد أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه وصّى موله عكرمة - رحمه الله - فقال: "فانظر السجع من الدعاء فاجتبه، فإني عهدتُ رسولَ الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب". وترجم البخاري لهذا الحديث عنوان "باب ما يكره من السجع في الدعاء".

وذكر الطرطوشي - رحمه الله - في كتابه "الحوادث والبدع" ص ١٥٧: عن عروة بن الزبير رضي الله عنه: إذا عُرض عليه دعاء فيه سجع منسوباً إلى النبي ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم -، قال: كذبوا، لم يكن رسول الله ﷺ ولا أصحابه سجعاً عين.

وكان بعض أهل العلم يقول: ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق.

(إحياء علوم الدين: ٣٠٦/١)

قال الخطابي - رحمه الله -: "ويُكره في الدعاء السجع، وتكلف صفة الكلام له". (شأن الدعاء ص ١٧)

تنبيهان:

أ - علمنا مما سبق أنه لا يُستحب التكلف في الدعاء، حيث يجعل التكلف الناس يهتمون بالنعيمات في الأدعية، فيذهب الخشوع والخضوع، أما إذا كان السجع على اللسان سليقة وفطرة ومطاوعة بلا تكلف، فلا بأس بذلك ولا حرج فيه، **وقد جاء في بعض الأدعية:**

"اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، وعلم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يُسمع"

"اللهم منزل الكتاب، هازم الأحزاب، سريع الحساب، اهزمهم وزلزلهم"

ب - ينبغي على الداعي ألا يجعل همته مصروفة إلى تقويم لسانه . خصوصاً إذا كان إماماً؛ لأن ذلك يُذهب الخشوع الذي هو لب الدعاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: ينبغي للداعي إذا لم تكن عادته الإعراب ألا يتكلف الإعراب، قال بعض السلف: إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع، فإذا وقع بغير تكلف فلا بأس، فإن أصل الدعاء من القلب واللسان تابع القلب، ومن جعل همته في الدعاء تقويم لسانه أضعف توجه قلبه.

(مجموع الفتاوى: ٤٨٩/٢٢)

٤ - الدعاء على النفس أو الولد أو المال:

فيجب على الإنسان أن يحذر من الدعاء على نفسه أو ولده أو ماله، كما يفعل كثير من الناس إذا أصابه مكروه أو غضب من شيء، وذلك لأنه قد يدعو الإنسان بشيء من هذه الأمور حال غضبه فيوافق ساعة إجابة فيستجيب الله تعالى له، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم ".

وأخرجه أبو داود بلفظ: " لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل^(١) فيها عطاءً فيستجاب لكم ".

وأخرج الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ^(٢)، فقال له رسول الله ﷺ: هل كنت تدعو بشيء، أو تسأله إياه؟ قال: نعم؛ كنت أقول: اللهم ما كنت مُعاقِبِي به في الآخرة، فعجله لي في الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: سُبْحَانَ اللَّهِ! لا تُطِيقُهُ -أو لا تستطيعُهُ- أفلا قلت: اللهم آتِنَا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقِنَا عَذَابَ النَّارِ، قال: فدعا الله له، فشفاهُ".

فإنه عز وجل جعل الدعاء لتفريج الكرب، وزوال الهموم، وقضاء الحاجات، ولم يجعله للدعاء على النفس أو الأهل أو المال أو الولد فهذا لا يأتي بخير، بل قد يكون سبباً في زوال النعم، وحلول النقم، ونزول المصائب والأسقام، وغير ذلك مما دعا به الإنسان فيوافق ساعة إجابة فيستجاب له فيها فاحذر أخي الحبيب.

قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (سورة الإسراء: ١١)

قال ابن كثير -رحمه الله- في معنى الآية: " يخبر تعالى عن عجلة الإنسان ودعائه في بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله بالشر، أي بالموت أو الهلاك أو الدمار أو اللعنة أو نحو ذلك، فلو استجاب له ربُّه لهلك بدعائه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْبَاهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ﴾

(تفسير القرآن العظيم: ٥/٤٥) (سورة يونس: ١١)

١ - يُسأل فيها عطاءً: وذكر في بعض الأحاديث: "نيل فيها عطاءً"، فذكرت كلمة "نيل" بدلا من كلمة "يسأل" وهو خطأ، كما قال الألباني رحمه الله في (صحيح الجامع: ١٢١٦/٢)
٢ - فصار مثل الفرخ: أي من شدة الضعف.

٥- الدعاء بإثم أو قطيعة رحم:

ينبغي على العبد أن يحذر من الدعاء بالشر، أو الإثم، أو قطيعة الرحم، فإن هذا الدعاء مردود على صاحبه، ولا يستجاب له فيه.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء ".

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من رجل يدعُ بدعاءٍ إلا استُجيبَ له، فإما أن يُعجلَ له في الدنيا، وإما أن يُدخَرَ له في الآخرة، ما لم يدعُ بإثم، أو قطيعة رحم، أو يستعجل، يقول: دعوتُ ربِّي فما استجاب لي ". (صحيح الجامع: ٥٧١٤) (صحيح الترمذي: ٣٦٠٤)

وأخرج الترمذي من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوةٍ إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوءِ مثلها، ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يعجل، يقول: قد دعوتُ ربِّي فلم يستجب لي ". (صحيح الجامع: ٥٦٣٧)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " ما من مسلم يدعو بدعوة، ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجلَ له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوءِ مثلها قالوا: إذن نكثر ^(١) !! قال: الله أكثر ^(٢) ".

وأخرج الترمذي من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من أحدٍ يدعو بدعاءٍ إلا آتاه الله ما سأل، أو كفَّ عنه من السوءِ مثله، ما لم يدعُ بإثم، أو قطيعة رحم ". (صحيح الجامع: ٥٦٧٨)

تنبيه: الدعاء على الكفار والمشركين الظالمين لا يدخل في هذا الباب وهذا النوع من الدعاء موجود بكثرة في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

١- إذن نكثر: أي: من الدعاء. وقال القاري: " (إِذَا نَكَّرَ) أَي: مِنَ الدُّعَاءِ الْعَظِيمِ فَوَائِدُهُ " (مرقاة المفاتيح: ٤ / ١٥٣٨)
٢- الله أكثر: أي: أكثر إحساناً مما تسألون.

٦- البخل في الدعاء؛ وعدم تعميمه ليشمل كافة المسلمين:

من الناس إذا دعا فإنه يخص نفسه وأفراد عائلته فقط، ولا يعمم الدعاء ليشمل كافة المسلمين، كالذي يدعو لنفسه فقط بالرحمة والرضوان وهذا من البخل في الدعاء، في حين أن رحمة الله تعالى وسعت كل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، وعلى هذا فلا يجوز تحجير وتضييق رحمة الله على أشخاص بعينهم، وقد جاء في قصة الرجل الذي بال في المسجد.

والحديث عند البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل أعرابي المسجد والنبي ﷺ جالس، فجلس، فلما فرغ قال: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: لقد حَجَرْتَ^(١) واسعًا، فلم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع إليه الناس، فقال النبي ﷺ: أهريقوا عليه سجلًا من ماء أو دلوا من ماء، ثم قال: إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين.

وقول النبي ﷺ: "لقد تحجرت واسعًا" يدل على سعة رحمة رب العالمين، وعلى هذا فلا يجوز أن يدعو الداعي لنفسه فقط دون أن ينال المسلمين من دعائه نصيبًا، فهناك المكلوم، والمحزون، والمحتاج، والمريض، وغير ذلك ممن يحتاجون الدعاء.

قال ابن بطال-رحمه الله-: "أنكر النبي ﷺ على الأعرابي لكونه بخل برحمة الله على خلقه، وقد أثنى الله تعالى على من فعل خلاف ذلك حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (سورة الحشر: ١٠)

٧- الدعاء مع غفلة القلب:

فمن الناس من يدعو الله تعالى بلسانه، دون حضور قلب، فلا يستشعر ما يقول، فقلبه مشغول بأمر من الدنيا، غارق فيها، فهذا دعاؤه مردود عليه.

فقد أخرج الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه".

(صحيح الجامع: ٢٤٥) (الصحيحة: ٥٦٤) (صحيح الترمذي: ٢٧٦٦)

١- قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في "الفتح: ١٠/٣٩٤": حَجَرْتَ: بمهملة ثم جيم ثقيلة، ثم راء، أي: ضيقت، وزناً ومعنى، ورحمة الله واسعة.

٨ - الدعاء بالموت لنزول ضر أو مصيبة:

وقد نهى النبي عن ذلك.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تدعوا بالموت ولا تتمنوه، فمن كان داعياً لا بد فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي ".

وقول خباب بن الارت رضي الله عنه: " وَلَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ... الحديث".

(رواه البخاري)

فلا ينبغي للإنسان إذا نزل به ضر أن يدعو بالموت، فإنه إذا مات انقطع عمله، ولكن لعله إن عاش يتوب ويستغيب، ويحسن بعد الإساءة فتكون حياته خيراً له.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: " لا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا ".
وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ: إِمَّا مُحْسِنًا، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ ".

٩ - الدعاء بأمر قد فرغ منه:

والدعاء بأمر قد فرغ منه تحصيل حاصل، لا فائدة منه، ولا نفع فيه:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: اللَّهُمَّ أَمْتِغْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَفْسُومَةٍ، لَنْ يُعْجَلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتُ سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ ".

١٠ - لا يدع الداعي ربه بقوله: يا سيدي:

قال الإمام مالك -رحمه الله-: " أكره للرجل أن يقول في دعائه: ياسيدي ياسيدي..، ولكن يدعو بما دعت به الأنبياء: ربنا ربنا.. ". (مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٨٥/١٠)

وذكر هذا الأثر ابن رجب -رحمه الله- في "جامع العلوم والحكم ص: ٩٨" فقال: " سئل الإمام مالك - رحمه الله - عمَّن يقول في الدعاء: يا سيدي، قال: " يقول: "يا رب"؛ كما قالت الأنبياء في دعائهم ".

١١ - مسح الوجه بعد الدعاء:

وتلك عادة منتشرة بين أكثر الناس.. وليس لها أصل من السنة، بل هي مخالفة لهدي النبي ﷺ. قال الشيخ الألباني -رحمه الله-: "وأما مسح الوجه بهما؛ فلم يرد في هذا الموطن، فهو بدعة وأما خارج الصلاة فلم يصح، وكل ما روي في ذلك ضعيف، وبعضه أشد ضعفاً من بعض كما حققته في ضعيف أبي داود: ٢٦٢، والأحاديث الصحيحة: ٥٩٧، ولذلك قال العز بن عبد السلام -رحمه الله- في بعض فتاويه: ولا يمسح وجهه بيديه عَقَبَ الدعاء إلا جاهل! (صفة صلاة النبي ﷺ ص ١٤١ بتصرف).

قال البيهقي -رحمه الله- في "سننه ٢/٢١٢": "فأما مسح اليدين بالوجه عند الفراغ من الدعاء فلست أحفظه عن أحد من السلف في دعاء القنوت". اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "إنه لا يمسح الداعي وجهه بيديه؛ لأن المسح باليدين عبادة تحتاج إلى دليل صحيح يكون حجة للإنسان عند الله إذا عمل به".
تنبيه:

ذهب ابن حجر -رحمه الله- في "بلوغ المرام" إلى تحسين الحديث الذي يدل على مسح الوجه بعد القنوت، والراجح: تضعيفه، كما مرّ بنا من كلام أهل العلم.

١٢ - رفع الرأس عند الدعاء في الصلاة:

وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ وقد توعّد النبي ﷺ من فعل ذلك.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "لَيَنْتَهَيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِهِمْ أَبْصَارَهُمْ عِنْدَ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ إِلَى السَّمَاءِ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ".

وهذا نهْيٌ صريحٌ عن رفعِ الأبصارِ إلى السَّمَاءِ في الصَّلَاةِ عِنْدَ الدُّعَاءِ، سواءً كان الدُّعَاءُ في ابتداءِ الصَّلَاةِ أو بَعْدَ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ؛ ففي رَفْعِ البَصَرِ إِلَى السَّمَاءِ إِعْرَاضٌ عَنِ الْقِبْلَةِ، وَخُرُوجٌ عَنِ هَيْئَةِ الصَّلَاةِ، وفي الالتفاتِ سُوءُ أَدَبٍ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وهو أمرٌ يُنافي السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ وَالْخُشُوعَ فِي الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ مَنْ خَشَعَ قَلْبُهُ سَكَتَتْ جَوَارِحُهُ، وَقَوْلُهُ ﷺ: "أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ"، أي: وإلّا كان جَزَاءُ عَدَمِ الْإِنْتِهَاءِ أَنْ يَخْطِفَ اللَّهُ مِنْهُمْ أَبْصَارَهُمْ، وَيَأْخُذَهَا بِسُرْعَةٍ وَفَجْأَةٍ؛ فَلَا يَشْعُرُونَ إِلَّا وَقَدْ فَقَدُوا حَاسَةَ الْبَصَرِ، فَتُصَابَ بِالْعَمَى (الدرر السنية).

١٣ - السجع في الدعاء:

مِمَّا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ تَجَنُّبُهُ فِي دَعَائِهِ تَكْلُفُ السَّجْعِ فِي الدَّعَاءِ، وَالسَّجْعُ هُوَ الْكَلَامُ الْمُقْفَى مِنْ غَيْرِ مَرَاعَاةٍ وَزَنِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ " بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ السَّجْعِ فِي الدَّعَاءِ "، ثُمَّ سَأَقِ بِسَنَدِهِ إِلَى عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: " حَدَّثَ النَّاسُ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ، فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَلثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلَا تُثَمِّلَنَّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلَا أَلْفِينَكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقْصُ عَلَيْهِمْ فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتَمْلَهُمْ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ، فَإِذَا أَمْرُكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ، فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدَّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ، فَإِنِّي عَهَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ . يَعْنِي لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الْاجْتِنَابَ " .

وَتَكْلُفُ السَّجْعِ فِي الدَّعَاءِ أَمْرٌ مَكْرُوهٌ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ .
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: " فَإِنِّي عَهَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الْاجْتِنَابَ " .

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: " وَيُكْرَهُ فِي الدَّعَاءِ السَّجْعُ، وَتَكْلُفُ صِفَةِ الْكَلَامِ لَهُ " . (شأن الدعاء ص ١٧).

وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: " وَإِنَّمَا كَرِهَهُ ﷺ لِمَشَاكَلَتِهِ كَلَامَ الْكَهْنَةِ، كَمَا فِي قِصَّةِ الْمَرْأَةِ مِنْ هُذَيْلٍ " .
(فتح الباري: ١١/١٣٩)

يُشِيرُ الزَّهْرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- إِلَى مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: " اقْتَتَلَتِ امْرَأَتَانِ مِنْ هُذَيْلٍ فَرَمَتَا إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى بِحَجَرٍ فَتَقَتَّلَتَا وَمَا فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصِمُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ دِيَّةَ جَنِينِهَا غَرَّةٌ: عَبْدٌ أَوْ وَلِيدَةٌ، وَقَضَى بِدِيَةِ الْمَرْأَةِ عَلَى عَاقِلَتِهَا وَوَرِثَتَهَا وَلَدَهَا وَمَنْ مَعَهُمْ، فَقَالَ حَمَلُ بَنِي النَّابِغَةِ الْهُذَلِيِّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَغْرُمُ مِنْ لَا شَرْبَ وَلَا أَكْلَ، وَلَا نَطْقَ وَلَا اسْتِهْلَ؟ فَمَثَلُ ذَلِكَ يُطْلُ [أَيُّ يُهْدَرُ]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَانِ " .
مِنْ أَجْلِ سَجْعِهِ الَّذِي سَجَعَ.

وَلِذَا عَدَّ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ تَكْلُفَ السَّجْعِ فِي الدَّعَاءِ فِي جُمْلَةِ مَوَانِعِ الْإِجَابَةِ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: " وَمِنْهَا: أَنْ يَدْعُوَ بِمَا لَيْسَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَيَتَخَيَّرُ أَلْفَاظًا مَفْقُورَةً، وَكَلِمَاتٍ مَسْجُوعَةً، قَدْ وَجَدَهَا فِي كِرَارِيسٍ لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا مَعْوَلَ عَلَيْهَا، فَيَجْعَلُهَا شِعَارَهُ، وَيَتْرَكَ مَا دَعَا بِهِ رَسُولُهُ ﷺ ، وَكُلُّ هَذَا يَمْنَعُ مِنْ اسْتِجَابَةِ الدَّعَاءِ " . (الجامع لأحكام القرآن: ٧/٢٦٦)

وَعَلَى هَذَا يَجْتَنِبُ السَّجْعَ فِي الدَّعَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ حَالَ الدَّاعِي حَالُ ذَلَّةٍ وَضُرَاعَةٍ، وَالتَّكْلُفُ لَا يَنْاسِبُ ذَلِكَ.

تنبيه:

والسجع المذموم هو المتكلف الذي يجتهد صاحبه في تصنعه، فيشغله ذلك عن الإخلاص والخشوع، ويلهي عن الصراحة والافتقار، فأما إن وجد السجع وحصل بلا تصنع ولا تكلف ومن غير قصد إليه فلا بأس به.

قال السفاريني - رحمه الله -: "ولا يتكلف السجع في الدعاء، فإنه يشغل القلب ويذهب الخشوع، وإن دعا بدعوات محفوظة معه له أو لغيره من غير تكلف سجع فليس بممنوع". (غذاء الألباب: ٤٠٩/١)

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في شرحه لحديث ابن عباس المتقدم في ذم السجع في الدعاء: "ولا يرد على ذلك ما وقع في الأحاديث الصحيحة؛ لأن ذلك كان يصدر من غير قصد إليه؛ ولأجل هذا يجيء في غاية الانسجام، كقوله ﷺ في الجهاد: **اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب** (البخاري ومسلم)، وكقوله ﷺ: **صدق وعده وأعز جنده...**"، (والحديث رواه البخاري ومسلم)، وكقوله: **"أعوذ بك من عين لا تدمع، ونفس لا تشبع، وقلب لا يخشع"**. (رواه مسلم)، وكلها صحيحة". (فتح الباري: ١١/١٣٩)

١٤ - اللحن في الدعاء:

وينبغي للداعي أن يتجنب اللحن في الدعاء، ولا سيما إذا كان اللحن مُحِيلًا للمعنى، مُخِلًا بالمقصود، مفسدًا للمراد، فإن الإعراب عماد الكلام، وبه يستقيم المعنى، وبعدمه يختل ويفسد، وربما انقلب المعنى باللحن إلى معنى باطل أو دعاء محرّم أو نحو ذلك.

ويُذكر عن الأصمعي أنه مرّ برجل يقول في دعائه: يا ذو الجلال والإكرام^(١)، فقال له: ما اسمك؟ قال ليث، فأنشأ يقول:

يُنَادِي رَبَّهُ بِاللَّحْنِ لَيْثُ لَذَاكَ إِذَا دَعَاهُ لَا يُجِيبُ.

(شأن الدعاء للخطابي ص ١٩)

ولهذا ينبغي على الداعي تجنب اللحن في الدعاء إن كان مستطيعًا لذلك قادرًا عليه، وإلا فإن الله جلّ وعلا لا يكلف نفسًا إلاّ وسعها.

١ - اللحن هنا أنه رفع المنادى المضاف، والصواب (يا ذا الجلال والإكرام) لأن المنادى هنا منصوب بالالف لأنه اسم من الأسماء الخمسة.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن رجل دعا دعاء ملحوناً فقال له رجل: ما يقبل الله دعاء ملحوناً؟

فأجاب-رحمه الله-بما نصّه: "مَنْ قال هذا القول فهو آثمٌ مخالفٌ للكتاب والسنة، ولما كان عليه السلف، وأمّا مَنْ دعا الله مخلصاً له الدين بدعاء جائز سمعه الله وأجاب دعاءه سواء كان مُعرباً أو ملحوناً، والكلام المذكور لا أصل له، بل ينبغي للداعي إذا لم تكن عادته الإعراب ألا يتكلّف الإعراب، قال بعضُ السلف: إذا جاء الإعرابُ ذهب الخشوعُ، وهذا كما يُكره تكلفُ السجع في الدعاء، فإذا وقع بغير تكلف فلا بأس به، فإنَّ أصلَ الدعاء من القلب، واللسان تابعٌ للقلب.

ومَنْ جعل همّته في الدعاء تقويمَ لسانه أضعفَ توجه قلبه، ولهذا يدعو المضطرُّ بقلبه دعاءً يُفتح عليه لا يحضره من قبل ذلك، وهذا أمرٌ يجده كلُّ مؤمن في قلبه، والدعاءُ يجوز بالعربية، وبغير العربية، والله سبحانه يعلم قصدَ الداعي ومراده، وإن لم يُقَوِّم لسانه فإنّه يعلم ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تنوّع الحاجات ". (مجموع الفتاوى: ٤٨٨/٢٢)

وبناء على هذا لا يجوز للمسلم أن يتحرّى في دعائه أنغاماً معيّنة أو تكلفات في الأداء من خفض ورفع أو تطريب أو ترجيع أو نحو ذلك، مما يُسمّيه البعض في زماننا ابتهالات ويجعل له أداءً معيّناً شبيهاً بالتغنّي، فمثل هذا لا يجوز؛ لأنَّ مقامَ الدعاء مقامُ طلبٍ وإظهارِ حاجةٍ وخشوعٍ وتضرّعٍ إلى الله، وليس مقامُ تغنٍّ، وهو مقامُ خضوعٍ وعبوديةٍ، وليس مقامُ إظهارٍ للصناعة النغمية، وهو مقامُ ذُلٍّ وخضوعٍ وإيمانٍ، وليس مقامُ شغلٍ للخواطر بتنميق الأداء وإقامة الأوزان، والله وحده الهادي والموفق، وهو وحده المستعان. (كتاب فقه الأدعية والأذكار للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر)

ولذلك قال بعض السلف: " ادع بلسان الذلة والافتقار، لا بلسان الفصاحة والانطلاق".

(إحياء علوم الدين: ٣٠٦/١)

١٥- الدعاء باستعجال العقوبة في الدنيا:

فبعض الناس لشدة خوفه من عذاب الآخرة يدعو الله تعالى أن يعجل له العقوبة في الدنيا، وهذا جهل منه فإن عقوبة الآخرة شديدة عظيمة أليمة، وكان الأحسن به أن يسأل الله تعالى المغفرة والعافية؛ لقد مرَّ بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك ؓ أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خفتَ فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: " هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه، قال: نعم كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه، أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار، قال: فدعا الله له فشفاه ".

١٦- الدعاء بشيء مستحيل:

فالدعاء بالمستحيل من الاعتداء في الدعاء، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

(الأعراف: ٥٥)

وقد فسّر البعض الاعتداء في الدعاء بأن يطلب من الله تعالى شيئاً من المستحيل الوصول إليه. كالذي يسأل الله تعالى ما علم من حكمته سبحانه أنه لا يفعله، كأن يسأله تخليده إلى يوم القيامة، أو أن يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب والهواء، أو أن يسأله إطلاعه على غيبه وما استأثر سبحانه بعلمه، أو أن يسأله أن يجعله من المعصومين، أو أن يهب له ولداً من غير زوجة، ونحو ذلك مما سألته اعتداءً لا يحبه الله ولا يحب فاعله. (انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢٢/١٥)

أو يدعو الله أن يعطيه قوة أو طاقة يحمل بها الجبال، أو يطير في الهواء، أو يتنفس تحت الماء، وغير ذلك من الأمور المستحيلة.

١٧- اختراع أدعية والمواظبة عليها، والعدول عن الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ:

فمن الناس من يعدل عن الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ ويرغب في غيرها، بل ولربما فضل غيرها عليها، ومن هؤلاء من يجعل لنفسه وزداً خاصاً قاله بعض الشيوخ، فيلتزمه ويحافظ عليه ويعظم من شأنه، ويقدمه على الأدعية المأثورة، والأوراد الصحيحة الثابتة عن الرسول الكريم ﷺ، وهذا من أشد الناس نكوباً عن الجادة.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: "ومن أشد الناس عيباً من يتخذ حزباً ليس بمأثور عن النبي ﷺ وإن كان حزباً لبعض المشايخ، ويدع الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيّد بني آدم، وإمام المرسلين، وحجة الله على عباده ". (مجموع الفتاوى: ٢٢/٢٣٢)

وقال شيخ الإسلام أيضاً رحمه الله: "الأذكار والدعوات من أفضل العبادات، والعبادات مبناه على الاتباع، وليس لأحد أن يسنّ منها غير المسنون، ويجعله عادةً راتبةً يواظب الناس عليها، بل هذا ابتداع دين لم يأذن به الله، بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله سنة ".

وقال العلامة المعلمي - رحمه الله -: "... وما أخسر صفقة من يدع الأدعية الثابتة في كتاب الله عز وجل، أو في سنة رسول الله ﷺ فلا يكاد يدعو بها، ثم يعمد إلى غيرها فيتحرّاه ويواظب عليه، أليس هذا من الظلم والعدوان؟ ". (كتاب العبادة للمعلمي ص ٥٢٤)

فالخيرُ كلُّ الخير في اتِّباع الرسول الكريم ﷺ، والاهتداء بهديه وترسم خطاه، ولزوم نهجه، فهو القدوة لأُمَّته، والأسوة الحسنة لهم، وقد كان أكمل الناس ذكرًا لله، وأحسنهم قيامًا بدعائه سبحانه.

ولهذا اعتنى أهل العلم بجمع الأدعية الماثورة لتكون بين أيدي الناس وفي متناولهم، فيستغنوا بها عن الأوراد المحدثّة والأدعية المبتدعة، قال الإمام أبو القاسم الطبراني رحمه الله في مقدّمة كتابه الدعاء: " هذا كتابُ ألفته جامعًا لأدعية رسول الله ﷺ حداني على ذلك أني رأيتُ كثيرًا من الناس قد تمسَّكوا بأدعية سجع، وأدعية وُضعت على عدد الأيام ممّا ألفها الورّاقون لا تُروى عن رسول الله ﷺ ولا عن أحدٍ من أصحابه ولا عن أحدٍ من التابعين بإحسان، مع ما روي عن رسول الله ﷺ من الكراهية للسجع في الدعاء والتعدّي فيه، فألفتُ هذا الكتابَ بالأسانيد الماثورة عن رسول الله ﷺ ... ". إلى آخر كلامه رحمه الله. (الدعاء للطبراني: ٧٨٥/٢)

ومن المؤلفات الجيدة في هذا الباب: "الأذكار" للنووي، و"الكلم الطيب" لابن تيمية، و"الوابل الصيب" لابن القيم، فحريّ بالمسلم أن يُفيدَ من مثل هذه الكتب القيّمة، المبنية على ما أثر عن رسول الله ﷺ، ويدع ما سوى ذلك ممّا أحدثه الورّاقون، وأنشأه المتكلّفون، رزقنا الله جميعًا لزوم السنّة واقتفاء آثار خير الأئمة صلوات الله وسلامه عليه.

ويُرتَّب هؤلاء لأورادهم وظائف محدّدة وصفات معيّنة وأوقات ثابتة، وهذا كلّهُ ولا ريب من الإحداث في الدّين، ومن المفارقة لسبيل سيّد الأنبياء والمرسلين، والاستعاضة عنه بما أحدثه شیوخ الضلال وأئمة الباطل، وهو تشريع في الدّين بما لم يأذن به الله، والله تعالى يقول: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ (الشورى: ٢١)، ثمّ تجدُهم مع ذلك يعظّمون أورادهم هذه ويُعلّون من شأنها، ويرفعون من قدرها، ويُقدّمونها على الأوراد الصحيحة والأدعية الثابتة عن رسول الله ﷺ أفضل الخلق وأكملهم ذكرًا ودعاءً لربّه سبحانه.

قال القاضي عياض -رحمه الله-: "أذن الله في دعائه، وعلم الدعاء في كتابه لخليقته، وعلم النبي ﷺ الدعاء لأُمَّته، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأُمَّة، فلا ينبغي لأحدٍ أن يعدلَ عن دعائه ﷺ، وقد احتال الشيطانُ للناس من هذا المقام، فقيّض لهم قومَ سوءٍ يخترعون لهم أدعيةً يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي ﷺ". (انظر الفتوحات الربانية لابن علان: ١٧/١)

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: " فعلى الإنسان أن يستعمل ما في كتاب الله وصحيح السنة من الدعاء ويدع ما سواه، ولا يقول أختار كذا؛ فإن الله قد اختار لنبيه وأوليائه وعلمهم كيف يدعون ". اهـ. (الجامع لأحكام القرآن: ١٤٩/٤)

فالواجب على مَنْ أراد لنفسه الفضيلة والسلامة والتمام والرفعة أن يلزم هدي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ويتقيد بسنته، ويدع ما أحدثه المحدثون وأنشأه المبطلون ممَّا لا أصل له ولا أساس إلاَّ اتباعُ الأهواء، والله المستعان واليه المشتكى وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(كتاب فقه الأدعية والأذكار للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر)

وهذه الأدعية المبتدعة لها نتائجها المؤسفة وآثارها السيئة على المسلم في عقيدته وأعماله التعبدية، وهي آثار كثيرة يطول حصرها، لكن قد أوجزها ولخصها الشيخ جيلان بن خضر العروسي في كتابه القيم: " الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية "، في النقاط التالية:

أولاً: أنَّ الأدعية المبتدعة لا تفي بالغرض المطلوب من العبادات من تزكية النفوس وتطهيرها من الرعونات، وتقريبها إلى باريها، وتعلقها بربها رجاءً ورغبة ورهبةً، فهي لا تشفي عليلًا ولا تُروِي غليلاً، ولا تهدي سبيلاً. وأما الأدعية المشروعة فهي الدواء الناجع والبلسم الشافي للأدواء النفسية والأمراض القلبية والأهواء الشيطانية، فمن استبدل بها الأدعية المبتدعة فقد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ثانياً: أنَّ الأدعية المبتدعة تفوّت على العبد الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي يحصل لمن التزم بالأدعية الواردة وحافظ عليها وطبقها كما وردت، فإنّه يحوز سبق، ويتعرّض لنفحات الربّ وجوده، بخلاف مَنْ يدعو بالأدعية المبتدعة، فإنّه يفوّت على نفسه الأجر والثواب ويعرضها لسخط الله وغضبه.

ثالثاً: عدم إجابة الأدعية المبتدعة مع أنَّ الهدف والأساس للداعي في الغالب هو إجابة مطلوبه، ونيل مرغوبه، ودفع مرهوبه، والأدعية المبتدعة لا يُجاب الداعي بها، ولا تكون متقبّلةً منه، وفي الحديث:

" مَنْ عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ". (رواه مسلم).

رابعاً: أنَّ الأدعية المبتدعة تشتمل غالباً على محذور شرعيّ، وقد يكون ذلك المحذور من وسائل الشرك وذرائعه؛ إذ البدعة تجرُّ إلى الشرك والضلال، فمن الأدعية البدعية التي تجرُّ إلى الشرك: التوسّل البدعي، فهو الذي فتح الباب لدعاء غير الله والاستغاثة والاستمداد بغيره، وقد يكون ذلك المحذور اعتداءً في الدعاء ومجاوزةً للحدّ، وسوء أدبٍ في خطاب الربّ ومناجاته، وقد يكون ذلك المحذور ما يصحب تلك الأدعية من بدع أخرى من تحديداتها بأوقات معيّنة وبصفات خاصة، ورفع الأصوات على نغمات معيّنة، وإيقاعات خاصة وأسجاع مصطنعة، وتراكيب ركيكة تمجّها الأسماع، وتستقبّحها القريحة السليمة.

خامساً: أن الأدعية المبتدعة من التزم بها واعتادها قلما يرجع عنها إلى الأدعية المشروعة، إلا إذا وفقه الله وأعانه وهده إلى الخير، وذلك لأن القلوب متى اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن، حيث إن الملتزم بتلك الأدعية المبتدعة يعتقد أنها مشروعة ويدافع عنها، ولا يسمع إلى حجة ولا برهان.

سادساً: أن استعمال الأدعية البدعية، وترك الأدعية المشروعة من باب استبدال الخبيث بالطيب، والضرار بالنافع، والشر بالخير، وهذا - ولا ريب - غبن فاحش، وتهور ظاهر، وخسارة فادحة.

سابعاً: أن في الأدعية المبتدعة المخترعة تشبهاً بأهل الكتاب في اختراعهم للأدعية المخالفة لما جاءت به رسلكم، وفيها أيضاً تشبه بهم في النغمات والإيقاعات والتمايلات وغير ذلك.

ثامناً: أن الذي يلزم الأدعية المبتدعة المخترعة لا سيما التي هي مؤلفة من أحزاب وأوراد يكون في الغالب جاهلاً لمعناها، وتتصرف همته إلى ألفاظها، وإلى سردها سرداً بدون تدبر، مع أن المطلوب في الدعاء إحضار القلب والإخلاص في السؤال، ولا سيما أن كثيراً من هذه الأدعية عبارة عن كلمات مرصوفة خفية المعنى غامضة الدلالة، وهذا الداعي بمثل هذه الأدعية غير سائل ولا داع، بل هو حاكٍ لكلام غيره، ثم إن اختياره ذلك الدعاء على غيره من الأدعية لأجل الذي نظمه وإعجابه به، ففي ذلك تقديس لهذا الذي جمعها، ورفع له فوق منزلته من حيث يعتقد الداعي أن لأدعيته خاصية لا توجد في غيرها، وإلا لما داوم عليها ليل نهار، بل بعضهم يصرح أن ورد شيخه أفضل الأوراد وأتمها وأكملها.

وبهذا يعلم مدى جناية هذه الأدعية المخترعة على المسلمين وعظم خطورتها عليهم، وأن الواجب على كل مسلم الحذر منها والبعد عنها ومجانبتها، وأن يقتصر على الوارد والمأثور عن الرسول الكريم ﷺ، فإنه أقوم قبلاً، وأهدى سبيلاً.

وإننا لنسأل الله الكريم أن يرزقنا لزوم سنته، واتباع هديه، واقتفاء أثره، وسلوك منهجه، إنه سميع مجيب.

موانع استجابة الدعاء:

١ - ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فمن أسباب عدم إجابة الدعاء أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يقبل الله تبارك وتعالى دعاءه.

فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن عائشة، قالت: "دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفْسُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ أَنَّ قَدْ حَفَزَهُ شَيْءٌ، فَمَا سَلَّمَ عَلَيَّ حَتَّى تَوَضَّأَ، فَلَصِقَتْ بِالْحُجْرَةِ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرُ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَكُمْ: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُونِي فَلَا أُجِيبَكُمْ، وَتَسْأَلُونِي فَلَا أُعْطِيكُمْ، وَتَسْتَنْصِرُونِي فَلَا أَنْصِرَكُمْ".

- وفي رواية: "مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابَ لَكُمْ".

(صحيح ابن ماجه: ٣٢٥١)

وقوله ﷺ: "قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ فَلَا يَسْتَجِيبَ لَكُمْ"، دليل على أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب عدم إجابة الدعاء.

وأخرج الترمذي من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ".

وأخرج الطبراني من حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا تَرَكَ قَوْمٌ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا لَمْ تَرْفَعْ أَعْمَالُهُمْ، وَلَمْ يُسْمَعْ دُعَاؤُهُمْ".

٢ - ومن موانع استجابة الدعاء: ترك الطاعات والوقوع في المعاصي والسيئات:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

(سورة البقرة: ١٨٦)

فالاستجابة لأوامر الله سبب لإجابة الدعاء، والنبي ﷺ حكى عن ربه عز وجل في الحديث القدسي أن العبد إذا تقرب إلى الله بالنوافل أحبه الله، وإذا أحبه الله أعطاه ما يريد، فقال سبحانه: "وَلئن سَأَلْنِي لِأَعْطِيَنَّهُ". (البخاري) والعكس بالعكس فمن موانع إجابة الدعاء أن يكون العبد مضيعاً للواجبات، مرتكباً للمعاصي والذنوب والمحرمات.

قال وهب بن منبه -رحمه الله-: "مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر".

(الزهد للإمام أحمد ص ٣٧٢) (الحلية: ٤/٥٣)

وقال أيضا -رحمه الله-: "العمل الصالح يبلغ الدعاء، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ

الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (سورة فاطر: ١٠)

وقال يحيى بن معاذ الرازي -رحمه الله-: "لا تستبطن الإجابة وقد سددت طرقها بالمعاصي".

(شعب الإيمان للبيهقي: ٢/٥٤)

وأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

نحن ندعو الإله في كل كرب ثم ننساه عنده كشف الكروب

كيف نرجو إجابة لدعاء قد سدنا طريقها بالذنوب

(صفة الصفوة: ٤/٩٤) (الحلية: ١٠/٥٣) (جامع العلوم والحكم ص ٢٠١)

وذكر القرطبي في كتابه التوابين ^(١) قصة حدثت في زمن موسى -عليه السلام- يظهر من خلالها

شؤم المعصية، وكيف أنها تحجب الدعاء، وتبين أيضًا فضل التوبة، فقال -رحمه الله-:

رُوي أنه لحق بني إسرائيل قحطٌ على عهد النبي موسى عليه السلام، فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا كريم الله، ادعُ لنا الله أن يسقينا الغيث، فقام معهم، وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفًا أو يزيدون، فقال موسى عليه السلام: إلهي، أسقنا غيثك، وانشر علينا رحمتك، وارحمنا بالأطفال الرضع، والبهائم الرتع، والشيوخ الركع، فما زادت السماء إلا تقشعًا، والشمس إلا حرارة، فتعجب النبي موسى عليه السلام، وسأل ربّه عن ذلك، فأوحى الله إليه: إن فيكم عبدًا يبارزني بالمعاصي منذ أربعين سنة، فنادِ في الناس حتى يخرج من بين أظهركم، فبه منعتكم، فقال موسى: إلهي وسيدي، أنا عبد ضعيف، وصوتي ضعيف، فأين يبلغ وهم سبعون ألفًا أو يزيدون؟ فأوحى الله إليه: منك النداء، ومنا البلاغ، فقام النبي موسى مناديًا: يا أيها العبد العاصي، الذي يبارز الله بالمعاصي، منذ أربعين سنة، اخرج من بين أظهرنا؛ فبك منعنا المطر، فنظر العبد العاصي ذات اليمين وذات الشمال، فلم يرَ أحدًا خرج منهم، فعلم أنه المطلوب، فقال في نفسه: إن أنا خرجت من بين هذا الخلق فضحت نفسي، وإن قعدت معهم منعو لأجلي، فأدخل رأسه في ثيابه نادمًا على فعله، وقال: إلهي وسيدي، عصيتك أربعين سنة وأمهلتني، وقد أتيتك طائعًا فاقبلني، فلم يستتم كلامه حتى ارتفعت سحابة بيضاء، فأمرت كأفواه القرب، فقال موسى: إلهي وسيدي، بماذا سقيتنا وما خرج من بين أظهرنا أحد؟ فقال الله: يا موسى، سقيتك بالذي منعتكم! فقال موسى: إلهي، أرني هذا العبد الطائع، فقال الله: يا موسى، لم أفضحه وهو يعصيني، أفضحه وهو يطيعني؟!"

١ - هذه القصة ضعيفة، لكن ذكرتها أستاذنا بها، ولأبين ضعفها فهي منتشرة على ألسنة كثير من الخطباء والوعاظ.

٣- ومن موانع استجابة الدعاء: هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها النبي ﷺ:

فقد أخرج الحاكم والطبري في "تفسيره" من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة يدعون الله عز وجل فلا يستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه؛ ورجل أتى سفيها ماله؛ وقال الله تعالى: (ولا تؤثوا السفهاء أموالكم) ". (صحيح الجامع: ٣٠٧٥)

٤- ومن موانع استجابة الدعاء: أكل الحرام وشربه ولبسه.

٥- ومن موانع استجابة الدعاء: الدعاء بإثم أو قطيعة رحم.

٦- ومن موانع استجابة الدعاء: استعجال الإجابة.

٧- ومن موانع استجابة الدعاء: الاعتداء في الدعاء.

٨- ومن موانع استجابة الدعاء: عدم حضور القلب.

وحتى لا يتكرر الكلام فارجع أخي الحبيب - فضلاً لا أمراً - إلى آداب الدعاء، ففيها التفصيل لهذه العناوين.

ذكر القرطبي في تفسيره: ٢/٢٨٩ "عن إبراهيم بن أدهم -رحمه الله- أنه قيل له: "ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفت الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس ". اهـ

أوقات يُستجاب فيها الدعاء:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا شَرَعَ لِعِبَادِهِ الدَّعَاءَ وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ وَحَثَّهُمْ عَلَيْهِ وَوَعَدَهُمْ عَلَيْهِ الْإِجَابَةَ تَفَضُّلاً مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَكْرُماً؛ وَهَيَّأَ لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَمَكْنَةً فَاضِلَةً وَأَزْمَنَةً فَاضِلَةً، وَآدَابًا عَظِيمَةً يَكُونُ حِظُّ الْعَبْدِ وَنَصِيبُهُ مِنَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ بِحَسَبِ حِظِّهِ وَنَصِيبِهِ مِنْ تَحْقِيقِ تِلْكَ الْأُمُورِ وَعَنَائِيَّتِهِ بِهَا. وَمِنَ الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي يُتَحَرَّى فِيهَا الدَّعَاءُ:

١ - الثَّلاثُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ (وَقْتُ السَّحَرِ):

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران: ١٧) والسحر جزء من أجزاء ثلث الليل الآخر، وهو وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات وهو وقت إجابة، وروي عن يعقوب -عليه السلام- لأولاده: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ (يوسف: ٩٨) ليدعو لهم في وقت السحر. والله أعلم.

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ تَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ".

- وفي رواية عند الإمام مسلم بلفظ: "إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلَاثَاهُ، يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ". (صحيح الجامع: ٨٠٢)

- وعند ابن ماجه بلفظ: "إِنَّ اللَّهَ يُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ نِصْفُهُ أَوْ ثُلَاثَاهُ قَالَ لَا يَسْأَلُنَّ عِبَادِي غَيْرِي مَنْ يَدْعُنِي أَسْتَجِبْ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي أُعْطِهِ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي أُغْفِرْ لَهُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ".

(صحيح ابن ماجه: ١١٣٣)

والأحاديث تدل على فضل هذا الوقت المبارك عند الله وعظم شأنه، وأنه أفضل أوقات الدعاء والاستغفار والإقبال على الله بالسؤال، وأن الدعاء في ذلك الوقت مستجاب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "والناس في آخر الليل يكون في قلوبهم من التوجُّه والتقرب والرقَّة ما لا يوجد في غير ذلك الوقت، وهذا مناسب لنزوله سبحانه إلى السماء الدنيا، وقوله: هل من داع، هل من سائل، هل من تائب". (مجموع الفتاوى ٥: ١٣٠)

٢- ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: ساعة من الليل، وذلك كل ليلة:

أخرج الإمام مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُؤَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ ".
وفي رواية: " إِنَّ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً، لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ".

٣- ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: إذا انتصف الليل (جوف الليل الآخر):

أخرج الطبراني من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ فَيُنَادِي مُنَادٍ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفْرَجُ عَنْهُ فَلَا يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ إِلَّا زَانِيَةً تَسْعَى بِفَرْجِهَا ^(١) أَوْ عَشَارًا ^(٢) ".
وأخرج الترمذي والنسائي من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ ".
(صحيح الجامع: ١١٧٣)

٤- ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: عند الأذان للصلوات المكتوبة:

الدعاء لا يردُّ عند النداء للصلاة، وذلك للحديث الذي أخرجه أبو داود والحاكم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ثَنَتَانِ لَا تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ، الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَاسِ حِينَ يَلْحُمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ". (صحيح الجامع: ٣٠٧٩)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما - أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن المؤذنين يَفْضِلُونَنَا؟ فقال رسول الله ﷺ: " قُلْ كَمَا يَقُولُونَ، فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلِّ تَعْطَهُ ".

(صحيح أبي داود: ٥٢٤) (الصحيحة: ١٨٩٠)

وأخرج أبو يعلى من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ فَتَحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ ". (ضعفه شعيب الأرنؤوط وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٨١٨)

٥- ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: عند إقامة الصلاة:

فقد أخرج الشافعي في "الأم" والبيهقي في "المعرفة" عن مكحول مرسلاً عن النبي ﷺ قال: " اظْلُبُوا اسْتِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ التَّقَاءِ الْجِيوشِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَنَزُولِ الْغَيْثِ ".

(ضعفه شعيب الأرنؤوط وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١٠٢٦) (الصحيحة: ١٤٦٩)

١ - تسعى بفرجها: أي تكتسب بالزنى.

٢ - عَشَارًا: هو صاحب المكس (جمعه مكوس) الذي يأخذ من التجار إذا مروا مكسا باسم العشر.

٦- ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: بين الأذان والإقامة:

ومن الأوقات التي يُرجى فيها قبولُ الدعاء ما بين الأذان والإقامة.

فقد أخرج أبو يعلى من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ مُسْتَجَابٌ، فَادْعُوا". (صحيح الجامع: ٣٤٠٥)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ فَادْعُوا". (صحيح الجامع: ٣٤٠٨)

٧- ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: عند قول الإمام في الفاتحة "ولا الضالين":

ودليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) (الفاتحة: ٧) فَقُولُوا آمِينَ، فَمَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ".

- وفي رواية: "إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ، فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ".

٨- ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: عند السجود في الصلاة:

فإنَّ العبدَ في سجوده يكون قريباً من ربه، فينبغي في هذه الحال أن يُكثر من دعاء الله وسؤاله ومناجاته؛ لعظمِ قربه فيه من الله عزَّ وجلَّ.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ".

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "أَلَا إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعِظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عِزًّا وَجَلًّا، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ".

وأخرج الإمام مسلم أيضًا من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مَبَشِّرَاتِ النُّبُوءَةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تَرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا، أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعِظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عِزًّا وَجَلًّا، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ^(١) أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ.

١- فَقَمِنٌ: أي حقيقٌ وجديرٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ.

٩- ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: دُبر الصلوات المكتوبة:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقولوا: السَّلامُ على الله؛ فإنَّ الله هو السَّلامُ، ولكن قولوا: التَّحِيَّاتُ لله والصلَّوات والطَّيِّبَاتُ، السَّلامُ عليك أيُّها النَّبيُّ ورحمةُ الله وبركاته، السَّلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصَّالحينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه، فيدعو."

وأخرج الترمذي من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله! أيُّ الدعاء أسمع؟ قال: "جوف الليل^(١) الآخر، ودُبر الصلوات المكتوبات^(٢)".

(صحيح سنن الترمذي: ٢٧٨٢) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٤٨)

وأوصى النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه أن يقول في دبر كل صلاة: "اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ". (صحيح سنن أبي داود: ١٣٤٧)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كُنْتُ أَصَلِّي وَالنَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مَعَهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَدَأْتُ بِالنَّشَاءِ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ دَعَوْتُ لِنَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: سَلْ تُعْطَهُ، سَلْ تُعْطَهُ". (حسنه العلامة الألباني في تخريج المشكاة رقم: ٩٣١)

١٠- ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: دعاء يوم عرفة في عرفة:

في هذا اليوم المبارك يَغْشَى النَّاسَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالطَّمَأْنِينَةِ وَالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِقَبُولِ دَعَوَاتِهِمْ. فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟".

١١- ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: دعاء يوم عرفة في غير عرفة:

ويومُ عرفة، فهو يومٌ فاضلٌ، تُغْفَرُ فِيهِ الزَّلَّاتُ، وَتُكْفَرُ فِيهِ الْخَطِيئَاتُ، وَتُسْتَجَابُ فِيهِ الدَّعَوَاتُ. فقد أخرج الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال: "أَفْضَلُ الدَّعَاءِ دَعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". (حسنه العلامة الألباني في الصحيحة)

١ - جوف الليل: أي: وسطه.

٢ - المقصود بدبر الصلاة؛ بعد التشهد وقبل التسليم، قال ابن القيم رحمه الله: "وكان شيخنا - يعني ابن تيمية رحمه الله - يُرَجِّحُ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ السَّلَامِ، فَرَاغَتْهُ فِيهِ، فَقَالَ: دُبِّرْ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ كدبر الحيوان". (زاد المعاد: ٣٠٥/١)

١٢ - ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: ساعة الإجابة من يوم الجمعة:

أخرج أبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أَهْبَطَ وَفِيهِ تَبَّ عَلَيْهِ وَفِيهِ مَاتَ وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُسِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينَ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنْ السَّاعَةِ إِلَّا الْجَنِّ وَالْإِنْسَ وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَةً إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا . "

(صحيح الجامع: ٣٣٣٤)

وأخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: فِيهِ سَاعَةٌ، لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا. وأرجح الأقوال فيها أنها آخر ساعة من ساعات العصر وهو قول عبد الله بن سلام، وأبي هريرة، والإمام أحمد، وغيرهم.

وحجة هذا القول ما رواه أبو داود والنسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " يَوْمَ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، لَا يُوْجَدُ فِيهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ إِيَّاهُ فَأَلْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ . " (صحيح الجامع: ٨١٩٠)

وروى سعيد بن منصور في سننه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا، فتذكروا الساعة التي في يوم الجمعة، فتفرقوا ولم يختلفوا أنها آخر ساعة من يوم الجمعة. (صحح الحافظ إسناده في الفتح ٤٨٩/٢)

وفي سنن ابن ماجه عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قَالَ قُلْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ: " إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا قَضَى لَهُ حَاجَتَهُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَأَشَارَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوْ بَعْضُ سَاعَةٍ، فَقُلْتُ : صَدَقْتَ، أَوْ بَعْضُ سَاعَةٍ . قُلْتُ: أَيُّ سَاعَةٍ هِيَ؟ قَالَ: هِيَ آخِرُ سَاعَاتِ النَّهَارِ. قُلْتُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ سَاعَةً صَلَاةً؟! قَالَ: بَلَى، إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا صَلَّى ثُمَّ جَلَسَ لَا يَحْبِسُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، فَهُوَ فِي الصَّلَاةِ . " (صححه الألباني)

١٣ - ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: كل يوم وليلة في شهر رمضان:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ عِتْقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةٌ . " أي: في رمضان.

(قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح)

١٤ - ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من قامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ".
والقيام صلاة، والصلاة: ذكر ودعاء. وأفضل دعاء في هذه الليلة: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي.

وقد ثبت في سنن الترمذي عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: قلت يا رسول الله: رأيت إن علمت ليلة القدر، ما أقول فيها، قال: قل: " اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي ".
(صحيح الجامع: ٤٤٢٣)

١٥ - ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: عند الاستيقاظ من النوم ليلاً:

فقد أخرج البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: " من تعارَّ^(١) من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته ".
وأخرج الإمام أحمد وأبو داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من مسلم يبيت على ذكر، طاهراً، فيتعار من الليل، فيسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه ".

(صحيح الجامع: ٥٧٥٤)

قال ابن بطال -رحمه الله-: " وعد الله على لسان نبيه ﷺ أن من استيقظ من نومه ولهج لسانه بتوحيد ربه والإذعان له بالملك، والاعتراف بنعمه يحمد عليها، وينزهه عما لا يليق به بتسبيحه والخضوع له بالتكبير، والتسليم له بالعجز عن القدرة إلا بمعونته سبحانه، أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قبلت صلاته ". (فتح الباري: ٤١/٣)

١٦ - ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: عند شرب ماء زمزم:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه والدارقطني والحاكم من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ماءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ ". (صحيح الجامع: ٥٥٠٢)

١ - تعار: بالراء المشددة؛ أي: تقلب على الفراش ليلاً، وقيل: انتبه واستيقظ.

١٧- ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: عند نزول المطر، وعند التقاء الجيوش:

وقد سمي رب العالمين الغيث رحمة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى: ٢٨) والدعاء عند نزول الرحمة أقرب للقبول والإجابة.

فقد أخرج الطبراني والحاكم من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثنتان ما تُردَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النَّدَاءِ، وَتَحْتَ الْمَطَرِ". (صحيح الجامع: ٣٠٧٨)

- وفي رواية عند أبي داود وابن خزيمة: "ثنتان لا تُردَّانِ أو قلَّما تُردَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النَّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا". (صحيح أبي داود: ٢٥٤٠)

ومر بنا الحديث الذي أخرجه الشافعي في "الأم" والبيهقي في "المعرفة" عن مكحول مرسلاً عن النبي ﷺ قال: "اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، ونزول الغيث". (ضعفه شعيب الأرنؤوط وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١٠٢٦) (الصحيحة: ١٤٦٩)

١٨- ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: عند حضور المريض أو الميت:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: "إذا حضرتم المريض، أو الميت، فقولوا خيراً؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إن أبا سلمة قد مات، قال: فولي: اللهم اغفر لي ولهُ، وأعقبني منه عقبى حسنة، قالت: فقلت، فأعقبني الله من هو خير لي منه؛ محمداً ﷺ."

أخرج الإمام مسلم من حديث أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: "دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شقَّ بصره، فأغمضه، ثم قال: إنَّ الروح إذا قبض تبعه البصر، فضجَّ ناسٌ من أهله، فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا ولهُ يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه".

وأخرج النسائي والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا حضر المؤمن؛ أتت ملائكة الرحمة.... الحديث". (صحيح الجامع: ٤٩٠) (الصحيحة: ١٣٠٩)

فيرجى أن يكون الدعاء عند حضور ملائكة الرحمة مقبولاً إن شاء الله.

١٩ - ومن الأوقات الفاضلة لإجابة الدعاء: عند صياح الديكة:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَا حَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهيقَ الحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا".

وفي هذا الحديث يأمرنا النبي ﷺ أننا إذا سمعنا صياح الديكة -جمع ديك- أن ندعو الله تعالى ونسأله من فضله وبما يفتح الله به على عبده، فنقول مثلاً: اللهم إنا نسألك من فضلك؛ لأن الديوك عندما تصيح فإنها تكون قد رأت ملكاً من الملائكة، فيدعو المسلم رجاء تأمين الملائكة على دُعائه واستغفارهم له، وشهادتهم له بالإخلاص، فتتوافق الدعوات، فتقع الإجابة.

أوقات وأحوال تفتح عندها أبواب السماء

هناك أوقات وأحوال تفتح عندها أبواب السماء، فعلى العبد أن يتعرض لهذه الأوقات، ويستغل هذه الأحوال للدعاء، فهي فرصة لصعود وقبول الدعاء بإذن رب الأرض والسماء. ومن هذه الأوقات والأحوال:

١ - عند كل أذان:

أخرج أبو يعلى من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ، فَتَحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ". (صحيح الترغيب: ٢٦٠) (صحيح الجامع: ٨١٨)

وأخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا نَادَى الْمُنَادِي، فَتَحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ...".

(ضعفه بعض أهل العلم وصححه الألباني كما في الحديث السابق)

٢ - الوقت قبل الظهر:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ تَفْتَحُ إِلَى زَوَالِ الشَّمْسِ، فَلَا تُرْتَجَى حَتَّى يُصَلَّى الظُّهْرُ، فَأَحَبُّ أَنْ يُصْعَدَ لِي فِيهَا خَيْرٌ". (صحيح الجامع: ١٥٣٢)

٣- صلاة أربع ركعات قبل الظهر:

أخرج أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم، تفتح لهن أبواب السماء". (صحيح الجامع: ٨٨٥)

٤- الصلاة بعد الزوال:

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن السائب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي أربعاً بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، وقال: إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، وأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح". (صححه الألباني في المشكاة: ١١٦٩)

٥- عند انتظار الصلاة:

أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما - قال: "صلينا مع النبي ﷺ ذات ليلة، فعقب من عقب - أي: جلس منتظراً لصلاة العشاء - ورجع من رجع، فجاء رسول الله ﷺ قبل أن يتوب الناس لصلاة العشاء، فجاء وقد حفزه النفس، رافعاً إصبعة هكذا، وعقد تسعاً وعشرين، وأشار بإصبعه السبابة إلى السماء، وهو يقول: أبشروا مغشَر المسلمين، هذا ربكم عز وجل قد فتح باباً من أبواب السماء، يباهي بكم الملائكة، يقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبادي، أدؤا فريضة، وهم ينتظرون أخرى". (صحيح الترغيب: ٤٤٥) (صحيح الجامع: ٣٦)

٦- عند إقامة الصلاة:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا توب بالصلاة، فتحت أبواب السماء، واستجيب الدعاء". (صحيح الترغيب: ٢٦٠)

٧- عند منتصف الليل:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "تفتح أبواب السماء نصف الليل، فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى؟ هل من مكروب فيفرج عنه؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله تعالى له؛ إلا زانية تسعى بفرجها، أو عشاراً". (صحيح الترغيب: ٧٨٦) (صحيح الجامع: ٢٩٧١)

٨- عند الثالث الأخير من الليل:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي، يَهْبِطُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سَوْؤَلُهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ". (صححه أحمد شاكر، والألباني في الإرواء: ٥٤٠)

٩- عند قولك في استفتاح الصلاة: "اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا".

فقد أخرج الإمام مسلم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: "بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ الْقَائِلُ كَلِمَةً كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ ﷺ: عَجِبْتُ لَهَا فَتَحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ".

١٠- عند قولك في الصلاة: "الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه".

أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي قَالَ هَذَا؟ قَالَ الرَّجُلُ: أَنَا، وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا الْخَيْرَ، فَقَالَ ﷺ: لَقَدْ فَتَحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَمَا نَهْنَهَا شَيْءٌ دُونَ الْعَرْشِ".

١١- عند قولك: "لا إله إلا الله"، بإخلاص:

فقد أخرج الإمام الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا قَالَ عَبْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَطُّ مُخْلِصًا، إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ". (صحيح الجامع: ٥٦٤٨)

١٢- دعاء المظلوم:

أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَا أَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ".

وقال ﷺ: "وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ". (متفق عليه)

١٣ - عند حضور الصلاة، والجهاد في سبيل الله:

فقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مالك وابن حبان من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: "ساعتان تُفْتَحُ فيهما أبوابُ السَّمَاءِ، وَقَلَّ دَاعٍ تُرَدُّ عَلَيْهِ دَعْوَتُهُ، حَضْرَةُ النَّدَاءِ بِالصَّلَاةِ، وَالصَّفِّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ". ولا يقال هذا من قِبَلِ الرَّأْيِ، فَلَهُ حَكْمُ الرَّفْعِ.

(صحيح الجامع: ٣٥٨٧)

وفي رواية: "ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء؛ عند حضور الصلاة، وعند الصف".

(وعزاه الألباني إلى الطبراني)

١٤ - يومي الاثنين والخميس:

أخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيُغْفَرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا أَمْرًا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْنَطِلَا".

١٥ - عند حلول شهر رمضان:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتُحْتَفَتُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِقَتِ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ". فعليك أخي الحبيب أن تحرص على عمارة هذه الأوقات والأحوال الشريفة والتي تُفْتَحُ فيها أبوابُ السماء؛ بالدُّعَاءِ وأنواع العبادات.

١٦ - عند خروج روح المؤمن:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الْمَوْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَنَزَّلَتْ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ كَأَنَّ عَلَى وُجُوهِهِمُ الشَّمْسَ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَفَنٌ وَحَنُوطٌ، فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ رُوحُهُ صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ يُعْرِجَ بِرُوحِهِ مِنْ قَبْلِهِمْ".

أصحاب الدعوات المستجابة:

١ - دعوة الصائم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده أو عليه:

أخرج البيهقي من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد، ودعوة

الصائم، ودعوة المسافر". (صحيح الجامع: ٣٠٣٢) (الصحيحة: ١٧٩٧)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث دعوات مستجابات لا شكَّ فيهنَّ: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده".

(صحيح الجامع: ٣٠٣١) (الصحيحة: ٥٩٦) (صحيح الترمذي: ١٩٠٥)

وأخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث تستجاب

دعوتهم: الوالد، والمسافر، والمظلوم". (صحيح الجامع: ٣٠٤٩) (صحيح الترغيب: ٣١٣٣)

تنبيه:

قال ابن رجب -رحمه الله- في شأن المسافر: "ومتى طال السفر كان أقرب إلى إجابة الدعاء لأنه مظنة حصول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان وتحمل المشاق، والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء". (جامع العلوم والحكم ص ١٩٦)

لكن يشترط لقبول دعاء المسافر؛ أن يكون تقيًا، بعيدًا عن الحرام، وذلك الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ... أن النبي ﷺ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ؟! فلم يكن سفره سببًا لاستجابة دعائه عند تلبسه بالحرام.

٢ - دعوة الصائم حين فطره:

أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا ترد

دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب -تبارك وتعالى-: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين".

فالصائم دعائه مستجاب طول فترة صيامه، وكذلك دعوته مستجابة حين يفطر، وهذا في صيام الفرض والنفل.

٣- دعوة المظلوم:

أخرج الترمذي وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ثلاث دعوات يستجاب لهنّ لا شكّ فيهنّ: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده ".
(صحيح الجامع: ٣٠٣٣)

ومما يدل على هذا أيضًا حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- في ذكر بعثة النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن وفيه: " واتق دعوة المظلوم، فإنّها ليس بينها وبين الله حجاب ". (رواه البخاري)

وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب ". (صحيح الجامع: ١١٩).

وأخرج الطيالسي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجراً، ففجوره على نفسه ". (صحيح الجامع: ٣٣٨٢)

قال الشافعي -رحمه الله في ديوانه:

أَتَهَرَأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ وَمَا تَدْرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ
سِهَامُ اللَّيْلِ لَا تُخْطِي وَلَكِنْ لَهَا أَمَدٌ وَلِلْأَمَدِ انْقِضَاءُ

٤- دعوة الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر:

فقد أخرج ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " الغازي في سبيل الله، والحاج، والمعتمر؛ وفدّ الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم ".
(صحيح الجامع: ٣٠٦٤) (السلسلة الصحيحة: ١٢١١)

٥- دعوة الإمام العادل، والذاكر الله كثيراً:

أخرج البزار والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ثلاثة لا يردّ دعائهم: الذاكر الله كثيراً، ودعوة المظلوم، والإمام المقسط ".
(صحيح الجامع: ٣٠٦٤) (السلسلة الصحيحة: ١٢١١)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ثلاثة لا تردّ دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم ". (السلسلة الصحيحة: ٤٠٧)

٦- دعوة المتبذل المتواضع المستكين:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ".

وأخرجه الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمَرِينَ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ". (صحيح الجامع: ٤٥٧٣)

وفي هذا الحديث يُخْبِرُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ الرَّجُلُ "أَشْعَثَ" وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ شَعْرُ رَأْسِهِ مُتَفَرِّقًا، غَيْرَ مَدْهُونٍ، وَمَدْفُوعًا بِالْأَبْوَابِ، لَا قَدْرَ لَهُ عِنْدَ النَّاسِ، فَهُوَ مَحْجُوبٌ وَمَطْرُودٌ عَنْ مَجَالِسِهِمْ لِحَقَارَتِهِ وَضَعْفِهِ فِي نَظَرِهِمْ، إِلَّا أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ "لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ"، أَي: يُجِيبُ رَغْبَتَهُ وَدُعَاءَهُ، وَلَا يُخَيِّبُ أَمَلَهُ؛ لِفَضْلِهِ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ.

والنبي ﷺ كان إذا أراد الاستسقاء خرج متواضعًا متبذلًا، وهذا أرجى لقبول الدعاء.

فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال: "أرسلني أميرٌ من الأمراء^(١) إلى ابن عباسٍ أسأله عن الصلاة في الاستسقاء فقال ابنُ عباسٍ: ما منعه أن يسألني؟ خرج النبي ﷺ متواضعًا متبذلًا متخشعًا مُتَرَسِّلًا مُتَضَرِّعًا فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَمَا يُصَلِّي فِي الْعِيدِ لَمْ يَخْطُبْ خُطْبَتَكُمْ هَذِهِ".

جاء في كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات لابن بشكوال عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: حبس ابن أخ لي حسبه السلطان في شيء كأنه كان يخاف عليه، قال: فلبس خلقا من خلقان ثيابه، وأخذ عصا بيده فقالوا: يا أبا عبد الله، ما هذا؟ قال: أستكين لربي عسى أن يشفعني في ابن أخي". (جامع العلوم والحكم ص ١٩٦)

٧- الدعاء باسم الله الأعظم:

وحتى لا يتكرر الكلام فارجع أخي الحبيب - فضلًا لا أمرًا - إلى آداب الدعاء، ففيها المزيد، والدليل على أن من دعا باسم الله الأعظم أجيب دعواه، ومن سأل به أعطاه.

١- وهو عثمان بن عفنة وكان أمير المدينة.

٨- دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أم الدرداء -رضي الله عنها- أنها قالت لصفوان أتريد الحج العام؟ قال: فقلت: نعم، قالت: فادعُ الله لنا بخير فإنَّ النبي ﷺ كان يقول: "دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملكٌ كلما دعا لأخيه بخير قال الملكُ الموكِّلُ به: آمين، ولك بمثل". وأخرج الإمام مسلم أيضًا في صحيحه عن أبي الدرداء ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل". وأخرج البزار من حديث عمران بن حصين ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "دُعَاءُ الْأَخِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ لَا يُرَدُّ". (صحيح الجامع: ٣٣٧٩)

٩- دعوة العبد المطيع الحافظ على أوامر الله:

والعبدُ كلما كان قريبًا من الله مطيعًا له محافظًا على أوامره كان حريًا بالإجابة والقبول في دعواته ومناجاته لربه. أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتُهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَخْرُهُ الْمَوْتُ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاعَتَهُ".

١٠- من دعا بدعوة ذي النون (يونس عليه السلام):

قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٨٧، ٨٨)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له". (صحيح الترمذي: ٣٥٠٥) (صحيح الجامع: ٣٣٨٣)

١١ - دعوة الولد البار لوالديه بعد وفاتهما:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ".

١٢ - دعوة المضطر:

فعندما يُقبل العبد على الله تعالى بصدق وإخلاصٍ إذا مسّه الضرُّ فإنَّ دعاءه لا يُردّ.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (سورة النمل: ٦٢)

قال بعض أهل العلم في هذه الآية: "ضَمِنَ اللهُ تعالى إجابةَ المضطرِّ إذا دعاه، وأخبرَ بذلك عن نفسه، والسببُ في ذلك أنَّ الضرورةَ إليه باللَّجَأِ ينشأ عن الإخلاص وقطع القلب عما سواه، ولإخلاص عنده سبحانه موقعٌ وذمةٌ وَجَدَ من مؤمن أو كافر، طائع أو فاجر". (تفسير القرطبي: ١٤٨/١٣)

عن عبيد الله بن أبي صالح قال: دخل عليّ طاووس رحمه الله يعودني، فقلت له: ادع الله لي يا أبا عبد الرحمن، فقال: "ادع لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه".

وجاء رجل إلى مالك بن دينار - رحمه الله - فقال: أنا أسألك بالله أن تدعو لي فأنا مضطر؛ قال: إذا فاسأله فإنه يجيب المضطر إذا دعاه".

الله تعالى لا يرد سائلاً، فإنه سبحانه سميع مجيب.

وَعَدَ اللهُ تَعَالَى مَنْ دَعَاهُ أَنْ يَجِيبَ دَعَاءَهُ وَيَحَقِّقَ رَجَاءَهُ، وَيُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠)

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

(البقرة: ١٨٦)

وَأُخْرِجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَالبَغَوِيُّ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَأَبُو الشَّيْخِ مِنْ طَرِيقِ الصُّلْبِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَبُ رَبُّنَا

فَنَاجِيَهُ أَمْ بَعِيدٌ فَنَنَادِيهِ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ

إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ إِذَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَدْعُونِي فَدَعُونِي اسْتَجَبْتُ لَهُمْ."

فالله سبحانه وتعالى حثنا على الدعاء ووعدنا بالإجابة، فإنه لو لم يرد إجابة الداعي لما ألهمه الدعاء. وكما قيل:

لَوْ لَمْ تُرَدِّ نَيْلَ مَا أَرْجُو وَأَطْلُبُهُ مِنْ جُودِ كَفَيْكَ مَا عَلَّمْتَنِي الطَّلَبَا

قال سفيان الثوري -رحمه الله-: "يا مَنْ أَحَبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سُؤْلَهُ، وَيَا مَنْ أَبْغَضَ عِبَادَهُ

إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُكَ يَا رَبِّ". (رواه ابن أبي حاتم) (انظر: تفسير ابن كثير ٨٥/٤)

لقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في الترغيب في الدعاء ببيان أن الله تبارك يعطي السائلين ويُجيب الدّاعين، ولا يُخيب رجاء المؤمنين، فهو سبحانه حيّ كريم، أكرم من أن يردّ مَنْ دَعَاهُ أَوْ يَخِيبَ مَنْ نَاجَاهُ أَوْ يَمْنَعَ مَنْ سَأَلَهُ.

فقد أخرج أبو داود والترمذي من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ

كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا^(١) خَائِبَتَيْنِ".

(صحيح الجامع: ١٧٥٧) (صحيح الترمذي: ٢٨١٩)

وأخرج الحاكم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ، حَيٌّ، كَرِيمٌ،

يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدَهُ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ ثُمَّ لَا يَضَعُ فِيهِمَا خَيْرًا".

(ضعفه بعض أهل العلم، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١٧٦٨) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٣٦)

١- الصفر: بكسر الصاد المهملة، وإسكان الفاء: وهو الفارغ، والمعنى: أي الخالية.

فإنَّه تعالى ندب عباده إلى دعائه وتكفل لهم بالإجابة، وأحبَّ منهم أن يُكثرُوا من دعائه وسؤاله.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟".

وعند الترمذي بلفظ: "يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ فيقول: أَنَا الْمَلِكُ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَضِيَ الْفَجْرُ".

(ورواه أيضًا الإمام أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الترمذي: ٤٤٦)

وأخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "قال الله تعالى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا، لِأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً". (السلسلة الصحيحة: ١٢٧) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦١٦)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَ مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ، فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بَرْزُقٍ عَاجِلٍ، أَوْ آجَلٍ". (صحيح الجامع: ٦٥٦٦)

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أَنَا لَا أَحْمِلُ هَمَّ الْإِجَابَةِ وَلَكِنْ أَحْمِلُ هَمَّ الدُّعَاءِ فَإِذَا أَلْهَمْتُ الدُّعَاءَ فَإِنَّ الْإِجَابَةَ مَعَهُ".

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَسْأَلَةٍ؛ إِلَّا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ، إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَهَا لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٣٢)

وأخرج الترمذي من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا؛ مَا لَمْ يَدْعُ بِمَآثِمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ"، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِذَا نُكِّرْتُ، قَالَ: "اللَّهُ أَكْثَرُ".

وفي رواية عند الترمذي أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من رجل يدعو الله بدعاءٍ إلا استجيبَ له، فإما أن يعجلَ له في الدنيا، وإما أن يدخرَ له في الآخرة، ما لم يدعُ بإثمٍ أو قطيعةٍ رحمٍ أو يستعجلَ . قالوا : يا رسول الله وكيف يستعجلُ ؟ قال: يقول: دعوتُ ربِّي فما استجابَ لي ."

وأخرج الإمام أحمد والبخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من مسلم يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ، ولا قطيعةٌ رحمٍ؛ إلا أعطاه بها إحدى ثلاث: إما أن يعجلَ له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوءِ مثلها. قالوا: إذا نُكثِرُ. قال: الله أكثرُ ^(١) ."

(صحيح الترغيب: ١٦٣٣)

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " قال الله تعالى: " مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَنْ اسْتِغَاذَ بِي لِأَعِيزَنَّهُ ... "

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي نر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: ".... يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعَمَكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسَكُمْ... يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ ^(٢) إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.... الحديث". (رواه مسلم)

وأخرج الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبلُ دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ ."

(صحيح الجامع: ٢٤٥٥) (صحيح الترغيب: ١٦٥٣)

١ - الله أكثر: قال الجراحي رحمه الله -: يعني: الله أكثر إجابة.
٢ - المخيط: بكسر الميم، وسكون الخاء المعجمة، وفتح الياء المشاة تحت: هو ما يخاط به الثوب كالإبرة ونحوها.

قال المناوي-رحمه الله- في "فيض القدير" عند هذا الحديث: "أدعوا" بهمزة وصل مضمومة "الله" المنفرد بالإعطاء والمنع، والضر والنفع ... فذكره هنا أنسب من ذكر الرب؛ أي أسأله من فضله، من الدعاء وهو استدعاء العبد ربه العناية، واستمداده منه المعونة ... وحقيقته إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية، وبه ردّ على من كره الدعاء من الصوفية وقال : الأولى السكوت والرضا والجمود تحت جريان الحكم والقضاء ... وهذا الحديث نص في رده، والذي عليه جمهور الطوائف أن الدعاء أفضل مطلقاً، لكن بشرط رعاية الأدب والجد في الطلب والعزم في المسألة والجزم بالإجابة كما أشار إليه بقوله "وأنتم موقنون" جازمون "بالإجابة" بأن تكونوا على حال تستحقون فيه الإجابة، بخلوص النية، وحضور الجنان، وفعل الطاعات بالأركان، وتجنب المحظور والبهتان، وتفريغ السر عما سوى الرحمن، أما سمعته يقول: (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) (سورة ق : ٣٣) أي راجع إليه عما سواه، من إظهار الانكسار والاضطرار، ورفض الحول والقوة، وغلبة ظن الإجابة، بحيث تكون أغلب على القلب من الردّ لأن الداعي إذا لم يكن جازماً لم يكن رجاءه صادقاً، وإذا لم يصدق الرجاء لم يخلص الدعاء، إذ الرجاء هو الباعث على الطلب، ولا يتحقق الفرع بدون تحقق الأصل، ولأن الداعي إذا لم يدع ربه على يقين أنه يجيبه فعدم إجابته إما لعجز المدعو أو بخله أو عدم علمه بالابتهال وذلك كله على الحق تقدس محال، قال الطيبي: وقيد الأمر بالدعاء باليقين والمراد النهي عن التعرض بما هنا مناف للإيقان من الغفلة واللهو والأمر بضدهما من إحضار القلب كما تقرر أولاً والجد في الطلب بالعزم في المسألة فإذا حصل حصل اليقين ونبه على ذلك بقوله: "واعلموا أن الله لا يستجيب" أي لا يجيب؛ قال في النهاية : المجيب الذي يقابل الدعاء والسؤال بالقبول والعطاء ... "دعاء" بالمد "من قلب غافل" بالإضافة ويجوز عدمها وتوابعها "لاه" أي لا يعبأ بسؤال، سائل غافل عن الحضور مع مولاه، مشغوف بما أهمه من دنياه، ونظيره قوله تعالى : (وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢) نهاهم عن الموت على غير دين الإسلام وليس بمقدورهم لكنه أمر بالثبات عليه بحيث إذا أدركهم الموت على تلك الحالة؛ والتيقظ والجد في الدعاء من أعظم آدابه، قال الإمام الرازي: أجمعت الأمة على أن الدعاء اللساني الخالي عن الطلب النفساني قليل النفع عديم الأثر، قال: وهذا الاتفاق غير مختص بمسألة معينة ولا بحالة مخصوصة ". اهـ

الرسل والأنبياء كانوا يلجأون إلى سامع الدعاء وكاشف كل بلوى:

فالأنبياء والرسل أعلم الناس بأهمية وحقيقة الدعاء، ومع كونهم أحب الخلق إلى الله تعالى، ومع ذلك هم أشد الناس بلاءً، فكانوا يلجأون إلى سامع كل شكوى، ومفرج كل كرب، فكان يجيب دعاءهم، ويفرج كربهم، ويزيل همهم، ويكشف غمهم، ويأمنهم من الخوف، وينصرهم على أعدائهم.

١- فما هو نبي الله نوح -عليه السلام-:

لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله تعالى، فلم يؤمن منهم إلا القليل، وكانوا يكذبونه ويحاربونه ويتواصلون قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل على ذلك، فتوجه نوح إلى ربه ولجأ إلى مولاه، يشكو أمره إليه.

فقال تعالى عنه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَاتَّصِرْ﴾ (القمر: ١٠) فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ (القمر: ١١)

وقال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٦، ٧٧)

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَبَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (الصافات: ٧٥، ٧٦)

٢- إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-:

كان يدعو ويقول: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (إبراهيم: ٤٠، ٤١)

ولما قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: ٣٧) فماذا كانت النتيجة؟ بُني البيت الحرام، وعُمِّر المكان، وكثرت الخيرات والثمار.

ولما قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: ٩٩، ١٠٠) فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠١)

٣- لوط-عليه السلام:-

نقل القرآن قوله حيث قال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (الشعراء: ١٦٩) فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿ (الشعراء: ١٧١، ١٧٠)

٤- أيوب-عليه السلام:-

ابتلاه الله بالمرض ثمان عشرة سنة حتى رفضه البعيد والقريب ومل الناس زيارته لطول المدة، فلم يبق معه إلا رجلان من إخوانه كانا يغذوان إليه ويروحان، وزوجته التي حفظت وده لإيمانها بالله تعالى، ولم ييأس أيوب -عليه السلام- بل صبر واحتسب، وقد أثنى الله تعالى عليه فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (سورة ص: ٤٤)

أي رجاء منيب إلى ربه، وظل على صلته بربه وثقته فيه، ورضي بقضاء الله، ثم توجه إلى ربه ليرفع عنه الضر، وما به من البلاء، فقال تعالى عنه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣) فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٤)

تنبيه:

وقول أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣) لم يكن على سبيل الشكاية أو الجزع؛ لأن الله قال في حقه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٤٤) قال الثعلبي: سمعت أستاذنا أبا القاسم يقول: "حضرت مجلساً غاصاً بالفقهاء والأدباء والسلطان، فسئلت عن هذه الآية بعد إجماعهم على أن قول أيوب شكاية، فقلت: ليست هذه شكاية، وإنما هو دعاء؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ (الأنبياء: ٨٤)، والإجابة تعقب الدعاء لا الشكاية، فاستحبوه وارتضوه. (تفسير القرطبي: ٣٢٧/١١)

٥- يونس-عليه السلام:-

رفع شكايته إلى الله تعالى وحده، فلم ينادِ ولم ينادِ إلا الله، ودعاه دعاء الموقن.
قال تعالى: ﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧) فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٨)

٦- زكريا-عليه السلام:-

دعا نبي الله زكريا -عليه السلام- ربه أن يرزقه الولد والذرية الطيبة وأن يصلح له زوجته، حيث كانت عاقراً لا تلد، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ذَكَرْ رَحْمَةَ رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكَرِيَّا﴾ (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم: ٢-٦) فماذا كانت النتيجة؟ ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مريم: ٧)

وقال تعالى عنه: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٩) فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠) وهنا تعلم لماذا استجاب الله لدعائه لأنه كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ فكانوا يسارعون لفعل الخيرات، وكان القلب متصلاً بالله تعالى، وكانوا كما وصفهم الله تعالى فقال: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ أي متذللين معترفين بالتقصير، فكان الدعاء والشكاية يخرج من القلب قبل اللسان.

٧- يعقوب-عليه السلام:-

قال يعقوب-عليه السلام:- ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٨٦) فماذا كانت النتيجة؟ استجاب الله دعاءه وأزال شكواه، ورد عليه يوسف وأخاه.

٨- يوسف-عليه السلام:-

ابتلي بكيد النساء فلجأ إلى ربه ومولاه، وشكا إليه ودعاه، فقال يوسف-عليه السلام:- ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف: ٣٣) فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يوسف: ٣٤)

٩- موسى-عليه السلام:-

نقل القرآن قوله-عليه السلام:- ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَأَخْلِلْ عِقْدَةً مِن لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ (طه: ٢٥-٣٥) فماذا كانت النتيجة؟ ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (طه: ٣٦)

١٠- عيسى-عليه السلام:-

قال تعالى عنه: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (المائدة: ١١٤) فماذا كانت النتيجة؟ ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ١١٥)

١١- الحبيب النبي-صلى الله عليه وسلم:-

في غزوة بدر أخذ يناشد ربه ويدعوه أن يرزقه النصر، كما نقل هذا القرآن فقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ إنها استغاثة لجوء وافتقار إلى الله، فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال: ٩)

فهذا حال الأنبياء والمرسلين يدعون الله بصدق وبقين، فيستجيب لهم رب العالمين، وعليك أخي الحبيب أن تقتدي بهم وتهدي بهديهم، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقَدَّهُ﴾ (الأنعام: ٩٠)

والصالحون كذلك يتوجهون إلى رب العالمين فيحقق لهم الخير، وينجيهم من كل كرب، ويؤمنهم من كل خوف، ويشفهم من كل مرض، ويكشف عنهم كل هم وحزن وبلاء.

عندما تنزل المحن وتشتد الخطوب، وتتوالى الكروب، وتعظم الرزايا، وتتتابع الشدائد، لا يكون أمام المؤمن إلا أن يلجأ إلى الله تبارك وتعالى ويلوذ بجنابه، ويضرع إليه راجياً تحقيق وعده الذي وُعد به عباده المؤمنين؛ إذ يقول رب العالمين: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠)

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦)

وتأمل هذا الود والعطف والإيناس واليقين في الآية الكريمة التي تسكب في قلب المؤمن الود المؤنس، والرضا التام، والثقة، واليقين، فيعيش منها في جناب الله الآمن قال رسول الله ﷺ قال: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟". (أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ؓ)

وفي ظل هذا الأنس والقرب والمودة يلفت الله تعالى نظر عباده المؤمنين إلى قضية إجابة الدعاء المعلقة بالاستجابة التامة له سبحانه والإيمان به كما قال تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ وهذه الاستجابة تعني الانقياد التام لأمره ونهيه والتسليم لقضائه والخضوع لجنابه، واتباع المنهج الذي اختاره تعالى لعباده ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣) (كيف تكون مستجاب الدعوة لمجدي الشهراوي)

جوامع الدعاء من القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة

أولاً: أدعية القرآن:

قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦، ٥)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَآرِنَا

مَنَاسِكَمَّا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧، ١٢٨)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١)

وهي أكثر دعاء النبي ﷺ.

يقول السعدي -رحمه الله- في "تفسيره ص ٩٢": "والحسنة المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة سالحة، وولد تقر به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، ونحو ذلك، من المطالب المحبوبة والمباحة، وحسنة الآخرة، هي السلامة من العقوبات، في القبر، والموقف، والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، والقرب من الرب الرحيم، فصار هذا الدعاء، أجمع دعاء وأكمل، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء به، والحث عليه.

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا

مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٨٦)

وهذه الآية من أواخر سورة البقرة وقد نزل بها ملكٌ ما نزل إلى الأرض قطُّ قبل ذلك، وفتح لها بابٌ من السماء ما فتح قبل يوم نزولها قطُّ، فهذا إن دل فإنما يدل على عظم وفضل الدعاء بهذه الآية.

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُغِثْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: ٨)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٦)

وقال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: ٣٨)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٥٣)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَبِتِّ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٧)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٣)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ١٩٤)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: ٤٧)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (الأعراف: ٨٩)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٦)

وقال تعالى: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ (١٥٥) وَكَتَبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا

هُدًى إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: ١٥٥، ١٥٦)

وقال تعالى: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (يونس: ٨٥)

وقال تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ

الْحِسَابُ﴾ (إبراهيم: ٤٠، ٤١)

وقال تعالى: ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٠)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَبْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (الكهف: ١٠)

وقال تعالى: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤)

وقال تعالى: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ (طه: ٢٥-٢٧)

وقال تعالى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٩)

وقال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧)

وقال تعالى: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٩)

وقال تعالى: ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ (المؤمنون: ٩٨، ٩٧)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (المؤمنون: ١٠٩)

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (المؤمنون: ١١٨)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (الفرقان: ٦٥)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٧-٨٩)

وقال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي

عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل: ١٩)

وقال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ (القصص: ١٦)

وقال تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٢١)

وقال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: ٢٤)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ

جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ

يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْنَاهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (غافر: ٧-٩)

وقال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي

إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٥)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِأَخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾

(الحشر: ١٠)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَارْحَمْنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المتحنة: ٥)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَارْحَمْنَا رَبَّنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم: ٨)

وقال تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (نوح: ٢٨)

ثانياً: أدعية من السنة النبوية المباركة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وينبغي للخلق أن يدعوا بالأدعية الشرعية التي جاء بها الكتاب والسنة، فإنَّ ذلك لا ريب في فضله وحُسْنِه، وأتَّه الصراطُ المستقيم، صراطُ الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقا". (مجموع الفتاوى: ٣٤٦/١)

النبي ﷺ كان يستحبُّ الجوامعَ من الدعاء:

النبي ﷺ أُعطي جوامع الكلم، وخُصَّ ببدايع الحكم، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "بُعِثْتُ بجوامع الكلم". وحاصله أنَّه ﷺ كان يتكلَّم بالكلام الموجزِ القليلِ اللفظ، الكثير المعاني، وهكذا الشأن في أذكاره وأدعيته صلوات الله وسلامه عليه.

وقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- قالت: كان النبي ﷺ يستحبُّ الجوامعَ من الدعاء ويدعُ ما سوى ذلك". (صحيح أبي داود: ١٣١٥) (صحيح الجامع: ٤٩٤٩) - وفي رواية عند الإمام أحمد بلفظ: "كان النبي ﷺ يُعجبه الجوامعُ من الدعاء، ويدع ما بين ذلك".

وأخرج الإمام مسلم من حديث طارق بن أشيم الأشجعي ؓ أنَّه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: "قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي. وَيَجْمَعْ أَصَابِعُهُ إِلَّا الإِبْهَامَ^(١)؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ".

عن أنس ؓ قال: "كان أكثر دعاء النبي ﷺ: اللهم آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ". (متفق عليه)

قيل لأنس ؓ: ادع الله لنا، فقال: اللهم آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. قالوا: زدنا. قال: ما تريدون؟ قد سألتُ الدنيا والآخرة.

وفي لفظ عند البخاري في الأدب المفرد ومصنف ابن أبي شيبة أنه قال: "إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَقَدْ أُوتِيتُمْ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ".

١- وَيَجْمَعُ أَصَابِعُهُ إِلَّا الإِبْهَامَ: أي: جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعَةَ أَصَابِعٍ وَهُوَ يُعَلِّمُ الرَّجُلَ، كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: ادْعُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّ تِلْكَ الدَّعَوَاتِ الْأَرْبَعُ تَجْمَعُ لَهُ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

يقول السعدي -رحمه الله- في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ

حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابَ النَّارِ (البقرة: ٢٠١) حسنة الدنيا؛ يدخل فيها كل ما يحسن وقوعه عند العبد؛ من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة صالحة، وولد تقرب به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، ونحو ذلك من المطالب المحبوبة والمباحة. وحسنة الآخرة هي: السلامة من العقوبات في القبر والموقف والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، والقرب من الرب الرحيم، فصار هذا الدعاء أجمع دعاء، وأولاه بالإيثار؛ ولهذا كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء به، ويحث عليه. اهـ

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، فإنه ﷺ أعطي جوامع الكلم، وخُصَّ ببدايع الحكم. ومن جوامع الدعاء، التي كان يدعو بها النبي ﷺ:

"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَأَحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي". (رواه أبو داود عن ابن عمر -رضي الله عنهما-)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه، وابن حبان من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: دخل عليّ النبي ﷺ وأنا أصلي وله حاجة، فأبطأت عليه قال: "يا عائشة عليك بجمل الدعاء وجوامعه"، فلما انصرفت قلت: يا رسول الله! وما جمل الدعاء وجوامعه؟ قال: "قولي اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَادَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا".

(صحيح الجامع: ٤٠٤٧) (الصحيحة: ١٥٤٢) (صحيح أبي داود: ١٣١٥)

وفي رواية: "ما منعك أن تأخذي بجوامع الكلم وفواتحه ..."، وذكر الدعاء السابق.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: "علّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: قل: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاعْفُرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وارحمني إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ".

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في "فتح الباري ٢/٣٢٠": وفي هذا الحديث من الفوائد ومنها: استحباب طلب التعليم من العالم، خصوصًا في الدعوات المطلوب فيها جوامع الكلم. اهـ.

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ".

ومن جوامع دعاء النبي ﷺ: "اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ". (رواه البخاري عن شداد بن أوس وقد وصف النبي هذا الدعاء بأنه سيد الاستغفار).

"اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ". (رواه البخاري ومسلم عن أبي بكر ﷺ)

"رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". (رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى ﷺ)

"اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّةً، وَجَلَّةً، وَأَوَّلَهُ، وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ، وَسِرَّهُ". (رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ)

"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ". (رواه البخاري عن سعد بن أبي وقاص ﷺ)

"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ". (رواه البخاري عن أنس ﷺ)

"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَأْثِمِ وَالْمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغَنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ التَّلَجِّ وَالْبَرْدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ".

(رواه البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها-)

"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ". (رواه مسلم عن عائشة -رضي الله عنها-)

"أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ".

(رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي)

" اللَّهُمَّ أَصْلَحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي^(١)، وَأَصْلَحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلَحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ ".
(رواه مسلم عن أبي هريرة ؓ)

" اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْحَيُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ ".
(رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس-رضي الله عنهما-)

" اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ^(٢) أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ^(٣)، وَبِكَ خَاصَمْتُ^(٤)، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ^(٥)، فَاعْفُ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ". زاد بعض الرواة: " وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ".
(رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-)

" اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ". (رواه مسلم عن عائشة-رضي الله عنها-)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمَعْفَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ". (رواه مسلم عن عائشة-رضي الله عنها-)

" اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبْلُغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوُنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمًّا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا ".
(رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر-رضي الله عنهما- (صحيح الجامع: ١٢٦٨)

١ - عِصْمَةٌ أَمْرِي: أي ما اعتصم به في جميع أموري، والعِصْمَةُ: المنع والحفظ.

٢ - أخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث جابر ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " أفضل الدعاء: الحمد لله ". (صحيح الجامع: ١١٠٤)

٣ - وإِلَيْكَ أَنَبْتُ: أي رجعت في جميع أموري إليك وحدك.

٤ - خَاصَمْتُ: أي العُدُو.

٥ - حَاكَمْتُ: أي حَكَمْتُ بما أنزلت من الكتاب والوحي.

" اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ "

(رواه النسائي عن عمار بن ياسر ؓ) (صحيح الجامع: ١٣٠١)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ "

(رواه الطبراني في "الكبير" عن شداد بن أوس ؓ)

" اللَّهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه ". (رواه الترمذي عن أبي هريرة ؓ)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ^(١)، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ^(٢)، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ "

(رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ)

" اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَمِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيَّ نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا ". (رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس-رضي الله عنهما-)

" اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ ". (رواه الحاكم وحسنه عبد القادر الأرناؤوط).

" اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَخَطَايَايَ كُلَّهَا، اللَّهُمَّ أَنْعِشْنِي وَاجْبُرْنِي وَاهْدِنِي لِمَا لَكَ مِنَ الْإِحْسَانِ، لَا يَهْدِي لِمَا لَكَ إِلَّا أَنْتَ ". (رواه الطبراني والحاكم عن أبي أمامة الباهلي ؓ)

(صحيح الجامع: ١٢٦٦)

" اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ "

(رواه أبو داود عن أبي بكر ؓ)

١ - جهد البلاء: المشقة، وكل ما أصاب الإنسان من شدة المشقة.
٢ - درك الشقاء: الإدراك والحق بالشدّة والعسر.

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ^(١)، وَالْجُنُونِ، وَالْجَذَامِ^(٢)، وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ ".

(رواه أبو داود والنسائي وأحمد عن أنس ؓ)

" اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا^(٣)، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، واحشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".

(رواه الترمذي والبيهقي عن أنس ؓ) (صحيح الجامع: ١٢٦١)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي، وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ ".

(أخرجه أحمد والترمذي) (صححه الألباني في صحيح الترمذي)

" رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَأَمْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى إِلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَارًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطْوَعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا أَوَاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْأَلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي^(٤) " . (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس-رضي الله عنهما-)

" اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَنْ أَضَلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرَّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَفَضْلِكَ، وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ، وَالْأَمْنِ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِدُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَنَا، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَرَابَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ كُفْرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، إِلَهَ الْحَقِّ [آمِينَ]."

(رواه الإمام أحمد عن رفاعة الزرقلي، وما بين المعقوفين للحاكم، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني في تخريج فقه السيرة، ص ٢٨٤، وفي صحيح الأدب المفرد للبخاري، برقم ٥٣٨، وقال محققو المسند: رجاله ثقات).

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَالْقَسْوَةِ، وَالْغَفْلَةِ، وَالْعَيْلَةِ، وَالذَّلَّةِ، وَالْمُسْكَنَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْكَفْرِ، وَالْفُسُوقِ، وَالشَّقَاقِ، وَالنَّفَاقِ، وَالسُّمْنَةِ، وَالرِّيَاءِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ، وَالْبَكَمِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجَذَامِ، وَالْبَرَصِ، وَسَيِّئِ الْأَسْقَامِ ".

(أخرجه النسائي والحاكم والبيهقي عن أنس ؓ) (صحيح الجامع: ١٢٨٥)

١ - البرص: مرض يحدث بالجلد بياضًا قبيحًا.

٢ - الجذام: قال في القاموس: علة تحدث من انتشار السوداء في البدن كله. فيفسد مزاج الأعضاء، وربما انتهى إلى تآكل الأعضاء وسقوطها عن تفرح.

٣ - مسكينًا: يعني خاشعًا متواضعًا، قال ابن الأثير: أراد به التواضع والإخبات، وألا يكون من الجبارين المتكبرين.

٤ - السخيمة: بفتح السين المهله وكسر الخاء المعجمة، وهي: الحقد وجمعها سخائم.

" اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَائِمًا، واحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ رَاقِدًا، وَلَا تُشْمِتْ بِي عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ "

(رواه أبو داود والحاكم عن عبد الله بن مسعود ؓ) (صحيح الجامع: ١٢٦٠) (الصحيحة: ١٥٤٠)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ ^(١) وَعَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغَنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ ^(٢)، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ قَلْبِي بِمَاءِ التَّلَجِّ وَالْبَرْدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ "

(رواه البخاري ومسلم عن عائشة-رضي الله عنها-)

" رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ "

(أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمر وصححه الألباني في صحيح أبي داود: ١٥١٦)

- وفي رواية: " رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ "

- " اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي سَمْعِي وَبَصَرِي واجْعَلْهُمَا الْوَارِثَيْنِ مِنِّي، وانصُرْنِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، وَأَرِنِي مِنْهُ ثَأْرِي "

(أخرجه البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الأوسط عن جابر ؓ) (صحيح الأدب المفرد: ٥٠٥) (الصحيحة: ٣١٧٠)

- وفي رواية: " اللَّهُمَّ مَتَّعْنِي بِسَمْعِي، وَبَصَرِي، واجْعَلْهُمَا الْوَارِثَيْنِ مِنِّي، وانصُرْنِي عَلَى مَنْ يَظْلِمُنِي، وَخُذْ مِنْهُ بَثَّارِي "

(أخرجه الترمذي والحاكم والبخاري في الأدب المفرد) (حسنه الألباني في صحيح الترمذي)

- " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِي رِزْقِي "

(أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة ؓ) (صحيح الجامع: ١٢٦٥)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ يَنْسُ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا يَنْسِتُ الْبِطَانَةُ "

(أخرجه أبو داود والنسائي عن أبي هريرة ؓ) (صحيح الجامع: ١٢٨٣)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْقِلَّةِ، وَالذَّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلَمَ أَوْ أَظْلَمَ "

(أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة ؓ) (صحيح الجامع: ١٢٨٧)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ؛ فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ "

(رواه البخاري في الأدب المفرد والحاكم) (صحيح الجامع: ١٢٩٠)

" اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَثَوْرَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي "

(أخرجه الإمام أحمد والحاكم) (صحيحه الألباني في تخريج الكلم الطيب ص ٧٣)

١ - فتنة النار: أي من الابتلاء بها.

٢ - من شر الغنى والفقير: لأن الغنى يورث الشره في جمع المال من الحلال والحرام، ويصل بالإنسان إلى الشح، والكبر، والترف، ولأن الفقر قد يقع الإنسان في اليأس، والضجر، والتبرم، والتسخط.

" اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَرَبِّ إِسْرَافِيلَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَرِّ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ".
(أخرجه النسائي، وأحمد عن عائشة -رضي الله عنها-) (الصحيحة: ١٥٤٤) (صحيح الجامع: ١٣٠٥)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا أَنْتَ ".
(أخرجه الطبراني في الكبير عن عبد الله بن مسعود ؓ) (صحيح الجامع: ١٢٧٨)

" اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَأَحْسِنْ خُلُقِي ". (أخرجه الإمام أحمد وابن حبان) (صححه الألباني في إرواء الغليل: ٧٤)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ^(١)، وَالْأَعْمَالِ^(٢)، وَالْأَهْوَاءِ^(٣)، [والأدواء] ".
(رواه الترمذي وابن حبان عن زياد بن علاقة عن عمه وهو قطبة بن مالك ؓ) (صحيح الجامع: ١٢٩٨)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ السُّوءِ، وَمِنْ لَيْلَةِ السُّوءِ، وَمِنْ سَاعَةِ السُّوءِ، وَمِنْ صَاحِبِ السُّوءِ، وَمِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ ". (أخرجه الطبراني في الكبير عن والد أبي المليح ؓ) (صحيح الجامع: ١٢٩٩).

" اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَآكِرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَأَعْظِمْنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا ". (رواه الترمذي والحاكم) (حسنه عبد القادر الأرناؤوط في تحقيقه لجامع الأصول برقم ٨٨٤٧)

" اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا ".
(أخرجه الترمذي وابن ماجه) (صحيح الترمذي: ٢٨٤٥)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ".
(رواه الإمام أحمد وابن ماجه عن أم سلمة -رضي الله عنها-) (صحيح ابن ماجه: ٧٦٢)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَدَعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ثُمَّ يَقُولُ:
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَوْلَاءِ الْأَرْبَعِ ". (رواه النسائي عن أنس بن مالك ؓ) (صحيح الجامع: ١٢٩٧)

- وفي رواية: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ، وَدَعَاءٍ لَا يُسْمَعُ ".
(رواه أحمد وابن حبان عن أنس بن مالك ؓ) (صحيح الجامع: ١٢٩٥)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا ". (رواه مسلم عن زيد بن أرقم ؓ)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى^(٤)، وَالتَّقَى^(٥)، وَالْعَفَافَ^(٦)، وَالْغِنَى^(٧) ". (رواه مسلم عن ابن مسعود ؓ)

١ - منكرات الأخلاق: كالعجب، والكبر، والخيانة، والفخر، والحسد، التناول، والبغي...

٢ - منكرات الأعمال: كالزنى، وشرب الخمر، وسائر المحرمات...

٣ - منكرات الأهواء: كالاقتادات الفاسدة، والمقاصد الباطلة، والأفكار الهدامة، والعادات الدنيئة.

٤ - الهدى: الهداية للخير والتوفيق له، وهو ضد الضلالة.

٥ - التقى: ملازمة التقوى؛ وهي فعل ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه.

٦ - العفاف: الكف عن المعاصي.

٧ - الغنى: أي الاستغناء عن الحاجة إلى الناس.

" اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي ^(١) " - وفي رواية: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ " .

(رواه مسلم عن علي بن أبي طالب ؓ)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ " . (رواه البخاري ومسلم)

" اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْهَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالتَّلَجِّ وَالْبَرْدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ " . (أخرجه الترمذي والنسائي)

" اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاءِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ^(٢)، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالتَّلَجِّ وَالْبَرْدِ، وَالْمَاءِ الْبَارِدِ ^(٣)، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا ^(٤)، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ ^(٥) " .

(رواه مسلم عن عبد الله بن أبي أوفى ؓ)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَرَمِ، وَالتَّرَدِّي، وَالْهَدْمِ، وَالْغَمِّ، وَالْغَرَقِ، وَالْحَرَقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا " .

(أخرجه الإمام أحمد أبو داود والنسائي عن كعب بن عمرو ؓ) (صحيح أبي داود: ١٥٥٢)

" اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ " .

(رواه الإمام أحمد والطبراني في الكبير)

" اللَّهُمَّ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ " . (رواه الإمام أحمد) (قال محققو المسند: إسناده صحيح)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ^(٦) وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ^(٧) وَجَمِيعِ سَخَطِكَ " .

(رواه مسلم عن ابن عمر -رضي الله عنهما-)

" اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِي، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ضَيْقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .

(رواه النسائي وابن ماجه) (صححه الألباني في صحيح سنن النسائي)

" اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي

إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " . (رواه البخاري ومسلم)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ " .

(رواه الإمام أحمد والطبراني وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب)

١ - سددي: أي وفقتي، والسداد: الاستقامة والقصد في الأمر.

٢ - "ومِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ": عبارة يراد بها أن حمد الله تعالى لا ينتهي له، ولا يحصىه عاَدٌ، فأحال الأمر إلى مشيئة الله تعالى التي لا تنتهي لها.

٣ - "اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالتَّلَجِّ وَالْبَرْدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ": هذا أسلوب استعارة المراد به المبالغة في الطهارة من الذنوب وغيرها؛ حيث شبه التوبة والندم والاستغفار بالتلج والماء البارد والبرد بجامع التطهير، والمعنى: طهرني من ذنوبي بالتوبة والاستغفار والندم التي هي في تطهير ذنوبي؛ كالتلج والبرد والماء البارد في تطهير الثياب.

٤ - "اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا": قال النووي: "يحتمل أن يكون الجمع بينهما كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى: (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا) [النساء: ١١٢]، قال: الخطيئة: المعصية بين العبد وبين الله تعالى، والإثم: بينه وبين الأدمي"؛ [شرح مسلم (٤/ ١٧)].

٥ - "كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ": رواها بعض الرواة عند مسلم بلفظ (الدرن)، وبعضهم بلفظ (الدنس)، والمعنى واحد؛ أي: طهرني طهارة كاملة ذات عناية كما يعتنى بتنقية الثوب الأبيض من الوسخ.

٦ - تحول عافيتك: أي تبدل ما وهبتي من الصحة إلى الضعف والمرض.

٧ - فجاءة نِقْمَتِكَ: أي مباغتتي بالعقوبة.

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " . (أخرجه أبو داود والنسائي واللفظ له)

" اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ " .

(أخرجه الإمام أحمد والحاكم) (صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد: ٥٣٤)

أدعية لتفريج الهموم، والغموم، والحزن، والكرب:

أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ " .

أخرج أبو داود من حديث أبي بكرة نفيح بن الحارث ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " دعوات المكروب: اللَّهُمَّ رَحِمَتِكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ " .

(صحيح الجامع: ٣٣٨٨) (صحيح أبي داود: ٥٠٩٠)

وأخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك ؓ قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَرِبَهُ أَمْرٌ قَالَ: يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ " . (صحيح الترمذي: ٣٥٢٤) (صحيح الجامع: ٤٧٧٧)

أخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث أسماء بنت عميس -رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله ﷺ: " أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ؟ اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أَشْرِكَ بِهِ شَيْئًا " . (صحيح الجامع: ٢٦٢٣)

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " كَلِمَاتُ الْفَرَجِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ " . (صحيح الجامع: ٤٥٧١)

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا قَالَ : فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا فَقَالَ : بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا " . (الصحيحة: ١٩٩)

وقفة:

على الإنسان ألا ينقطع عن الدعاء في الرخاء، فإنه سيجد أثر ذلك في الشدة وعند الكرب.
وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ** ".

أدعية لسداد الدين أو غلبته:

فكم من مدين عجز عن الوفاء، وكم من معسر يعيش في شقاء، هم بالليل، وذل بالنهار، أحزان وآلام، لا يهنأ بطعام، ولا تكتحل عينه بمنام، فهو إما طريد الغرماء، أو مع السجناء.

وقد كان النبي ﷺ يستعين من الدين، فيقول:

" **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ، وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ^(١)، وَالْكَسَلِ^(٢)، وَالْجُبْنِ^(٣)، وَالْبُخْلِ^(٤)، وَضَلَعِ الدَّيْنِ^(٥)، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ^(٦)** ". (رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه)

" **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ^(٧)، وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ** ". (رواه النسائي بسند صحيح)

وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود واللفظ له من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ^(٨)، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ** ".

فعلى من تراكت عليه الديون أن يتوجه بصدق وإخلاص إلى من يستحيى إذا رفع العبدُ إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين، ومن أدعية سداد الدين:

١ - العجز: عدم القدرة على الخير.

٢ - الكسل: قال النووي -رحمه الله-: هو عدم انبعاث النفس على الخير وقلة الرغبة فيه مع إمكانه.

٣ - الجبن: الخوف وضعف القلب.

٤ - البخل: منع أداء ما يطلب أداءه.

٥ - ضلع الدين: ثقل الدين وشدته.

٦ - غلبة الرجال: المراد به الاستعاذة من أن يكون ظالماً أو مظلوماً.

٧ - غلبة العدو: تسلط العدو بغير حق.

٨ - قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري ٢ / ٣١٧: "المأثم والمغرم: بفتح الميم فيهما وكذا الراء المثلثة وسكون الهمزة والغين المعجمة، والمأثم: ما يقتضي الإثم، والمغرم: ما يقتضي الغرم.

وقال أيضاً: المغرم أي الدين، يقال: غرم بكسر الراء أي أدا. قيل: والمراد به ما يستدان فيما لا يجوز وفيما يجوز ثم يعجز عن أدائه. ويحتمل أن يراد به ما هو أعم من ذلك ما يقتضي الغرم.

ما أخرجه الترمذي من حديث عليّ ؓ أن مكاتباً ^(١) جاءه فقال: إني قد عجزت عن مكاتبتني فأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل صبير ^(٢) ديناً أداه الله عنك، قال: قل: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عن سواك .

(صحيح الجامع: ٢٦٢٥) (صحيح الترمذي: ٣٥٦٣)

وأخرج الطبراني في المعجم الصغير عن أنس بن مالك ؓ قال رسول الله ﷺ لمعاذ ؓ: " ألا أعلمك دعاءً تدعو به لو كان عليك مثل جبل أحدٍ ديناً لأداه الله عنك قل يا معاذ اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتُعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطيهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك . " (صحيح الترغيب والترهيب: ١٨٢١)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ؓ قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: اللهم رب السموات [السبع] ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر .

وقفه:

من أخذ ديناً وفي نيته ألا يرده؛ فهو سارق، ومن أخذ ديناً وفي نيته سداذه، فإن الله تعالى سيؤدي عنه دينه ويعينه عليه.

فقد أخرج النسائي وابن ماجه من حديث ميمونة بنت الحارث-رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما أحد يدان ديناً يعلم الله عز وجل أنه يريد قضاءه؛ إلا أداه الله عنه في الدنيا . "

(صحيح الجامع: ٥٦٧٧)

وكانت عائشة-رضي الله عنها- تدان، فقيل لها: ما لك ولدين؟ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما من عبد كانت له نية في أداء دينه، إلا كان له من الله عز وجل عونٌ؛ " فأنا ألتمس ذلك العون. (أخرجه الإمام أحمد بسند حسن)

١ - مكاتباً: من المكاتب، وهي أن يتعاقد العبد مع سيده على قدر من المال إذا أداه له أصبح حراً.
٢ - مثل جبل صبير: وهو اسم جبل ببلاط طي، وقيل: باليمن، والمعنى: أي لو كان مقدار أو حجم الدين مثل حجم هذا الجبل، أداه الله عنك.

سؤال الله العافية ودوامها:

أخرج ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من: اللهم إني أسألك المَعافاة في الدنيا والآخرة".

(الصحيحة: ١١٣٨) (صحيح الجامع: ٥٧٠٣) (صحيح ابن ماجه: ٣١٢٠)

وأخرج الإمام أحمد الترمذي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: عَلَّمَنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ: "سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ". فمكثت أيامًا، ثم جئتُ فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: عَلَّمَنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ لي: "يا عباسُ يا عمَّ رسولِ الله، سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ".

وأخرج الترمذي من حديث رفاعه بن عرابه الجهني قال: قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه على المنبر ثم بكى فقال: قام رسول الله ﷺ عام الأول على المنبر ثم بكى فقال: "سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ". (صحيح الترمذي: ٣٥٥٨)

"اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي". (رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه عن عائشة -رضي الله عنها-)

أخرج الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي، وحين يصبح: اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذُ بعظمتك أن أغتال من تحتي^(١). (صحيح أبي داود: ٥٠٧٤)

الدعاء في السفر:

أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ، وَزَادَ فِيهِنَّ: أَيُّوْنَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ".

١ - أغتال من تحتي: يعني الخسف.

أدعية لسلامة القلب وشفائه:

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (سورة آل عمران: ٨)

وأخرج الترمذي من حديث شهر بن حوشب قال: قُلْتُ لَأَمِّ سَلَمَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دَعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكَ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دَعَائِهِ: يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْثَرُ دَعَائِكَ يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ. فَتَلَا مَعَاذُ رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) . (صحيح الجامع: ٤٨٠١) (الصحيحة: ٢٠٩١) (صحيح الترمذي: ٣٥٢٢)

وأخرج الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه من حديث النّوّاس بن سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيَّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، إِذَا شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُزَيِّغَهُ أَزَاغَهُ، وَيَقُولُ: يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، قَالَ: وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَزَّ يَرْفَعُهُ وَيَخْفِضُهُ ."

وأخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- عن رسول الله ﷺ قال: " اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ ^(١) صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ ^(٢) ."

وقال ﷺ: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي ^(٣)، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي ^(٤)، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي ^(٥)، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي ^(٦)، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّ ^(٧) ."

(رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث شكل بن حميد ﷺ، وهو في صحيح الجامع: ٤٣٩٩)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يَسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَوْلَاءِ الْأَرْبَعِ " . (رواه الترمذي وأبو داود) (صحيح الجامع: ١٢٩٧)

- وفي رواية: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَقَوْلٍ لَا يَسْمَعُ " . (أخرجه ابن حبان) (وصححه الألباني في صحيح موارد الظمان)

١ - وقوله ﷺ: " اللهم مصرف القلوب ": أي مغيرها من حال إلى حال، ومن شأن إلى شأن.

٢ - وقوله ﷺ: " صرف قلوبنا على طاعتك ": أي صرف على طاعتك قلوبنا، فلا تزغها بعد الهدى.

٣ - شر سمعي: أي أسمع كلام الزور، والبهتان، والغيبة، وسائر ما حرم الله سماعه، أو لا أسمع الحق.

٤ - شر بصري: وذلك بالنظر إلى عورات الناس، أو إلى ما حرم الله، أو إهمال النظر في مخلوقات الله.

٥ - شر قلبي: بأن أشغله بغير ذكر الله تعالى.

٦ - شر مني: المنى ما يخرج من الرجل من ماء بشهوة، والمراد هنا الفرج كما ورد في رواية الترمذي، ويكون شره إذا وضعه في غير محله المشروع (كالزنا واللواط)

٧ - شر لساني: وهو الاستعاذة من الكذب، والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، والسب، واللعن، وغير ذلك من آفات اللسان.

وكان ﷺ يقول: "اللَّهُمَّ جَدِّدِ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِي ^(١)".

وكان ﷺ يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ".

(رواه أحمد والترمذي وابن حبان) (حسنه شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان) (الصحيحة: ٣٢٢٨)

سؤال الله الجنة، والاستعاذة من النار:

أخرج أبو يعلى والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ما استَجَارَ عَبْدٌ مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي يَوْمٍ إِلَّا قَالَتِ النَّارُ: يَا رَبِّ إِنَّ عَبْدَكَ فَلَانًا قَدْ اسْتَجَارَكَ مِنِّي فَأَجِرْهُ، وَلَا يَسْأَلُ اللَّهُ عَبْدَ الْجَنَّةِ فِي يَوْمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ، إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ إِنَّ عَبْدَكَ فَلَانًا سَأَلَنِي فَأَدْخِلْهُ".

(السلسلة الصحيحة: ٢٥٠٦)

وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من سأل الله الجنة ثلاث مراتٍ قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مراتٍ، قالت النار: اللهم أجره من النار".

أدعية لبعض السلف:

أخرج البخاري في الأدب المفرد عن عمر ﷺ أنه كان فيما يدعو: "اللهم توفني مع الأبرار، ولا تخلّفني مع الأشرار، وألحقني بالأخيار". (صحيح الأدب المفرد: ٤٨٩)

وأخرج البخاري عن أسلم مولى عمر بن الخطاب أن عمر ﷺ كان يدعو فيقول: "اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ".

وروى الإسماعيلي عن حفصة بنت عمر -رضي الله عنهما- قالت: "سمعت عمر يقول: "اللهم قتلًا في سبيلك ووفاء في بلد نبيك، قالت فقلت: وأنى يكون هذا؟ قال يأتي الله به إذا شاء". وقد استجاب الله لدعائه فمات بالمدينة ودفن بجوار الحبيب النبي ﷺ.

١- مقتبس من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم". (رواه الحاكم والطبراني في الكبير وحسنه الألباني في الصحيحة: ١٥٨٥)

وكان ابن عمر-رضي الله عنهما-يقول: "اللَّهُمَّ أَحْيِنِي عَلَى سُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِهِ، وَأَعِزَّنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ ^(١) ". (أخرجه البيهقي في الكبرى)

وكان ابن عباس-رضي الله عنهما- يقول: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَنْ تَجْعَلَنِي فِي حِرْزِكَ وَحِفْظِكَ وَجِوَارِكَ وَتَحْتَ كَنْفِكَ ". (رواه البزار عن سعيد بن جبير)

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا لَا يَزِيدُ، وَنَعِيمًا لَا يَنْقُذُ، وَمُرَافَقَةً مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ ".

(أخرجه ابن حبان عن عبد الله بن مسعود ؓ) (السلسلة الصحيحة: ٢٣٠١)

وكان من دعاء زين العابدين علي بن الحسن-رضي الله عنهما-: " اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فَأَعْجَزَ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى الْمَخْلُوقِينَ فَيُضْيِعُونِي ". (سير أعلام النبلاء: ٤/٣٩٦)

وكان عطاء السليمي-رحمه الله- يقول في دعائه: " اللهم ارحم غربتي في الدنيا وارحم مصرعي عند الموت وارحم قيامي بين يديك ". (سير أعلام النبلاء: ٦/٨٦)

وكان سُكَيْنُ بْنُ مُكَيْنٍ - رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَجَلٍ - قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ يَسْجُدُ وَيَبْكِي، ثُمَّ يَقُولُ: "مَوْلَايَ! عَبْدُكَ يُحِبُّ الْإِتِّصَالَ بِطَاعَتِكَ، فَأَعِنْهُ عَلَيْهَا بِتَوْفِيقِكَ أَيُّهَا الْمَنَّانُ، مَوْلَايَ! عَبْدُكَ يُحِبُّ اجْتِنَابَ سَخَطِكَ، فَأَعِنْهُ عَلَى ذَلِكَ بِمَنَّاكَ عَلَيْهِ أَيُّهَا الْمَنَّانُ. مَوْلَايَ! عَبْدُكَ عَظِيمُ الرَّجَاءِ لِخَيْرِكَ، فَلَا تَقْطَعْ رَجَاءَهُ يَوْمَ يَفْرُحُ بِخَيْرِكَ الْفَائِزُونَ ". (صفة الصفوة: ٣/١٦٢) (الرقعة والبقاء لابن أبي الدنيا)

وكان عمر بن ذر-رحمه الله- يدعو ويقول: " اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ أَطْعَمْنَاكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ أَنْ تُطَاعَ فِيهِ: الْإِيْمَانُ بِكَ، وَالْإِقْرَارُ بِكَ، وَلَمْ نَعْصِكَ فِي أَبْغَضِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ أَنْ تُعَصَى فِيهِ: الْكُفْرُ وَالْجَدُّ بِكَ، اللَّهُمَّ فَاعْفِرْ لَنَا مَا بَيْنَهُمَا. وَأَنْتَ قُلْتَ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْْمَانِهِمْ: لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ ونحن نُقَسِمُ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِنَا لَتَبْعَثَنَّ مَنْ يَمُوتُ، أَفَتَرَاكَ تَجْمَعُ بَيْنَ أَهْلِ الْقَسَمَيْنِ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ!! ".

(سير أعلام النبلاء: ٦/١٨٥)

١- قال ابن مسعود ؓ: لا يقل أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، فليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة؛ لأن الله يقول: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) [التغابن: ١٥]، فأياكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن"، أخرجه ابن جرير، في تفسيره، وذكره ابن بطل في شرحه على صحيح البخاري.

وكان الشيخ عبد العزيز بن أحمد الدميري - رحمه الله - يقول في دعائه ومناجاته: " اللهم إنك عرفتنا بربوبيتك، وعرفتنا في بحر نعمتك، ودعوتنا إلى دار قُدُسك ونعمتنا بذكرك وأنسك، إلهي إن ظلمة ظلمنا لأنفسنا قد عمّت، وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمّت، فالعجز شامل، والحصر حاصل والتسليم أسلم، وأنت بالحال أعلم، إلهي ما عصيناك جهلاً بعقابك، ولا تعرّضاً لعذابك، ولكن سوّلت لنا نفوسنا، وأعانتنا شقوّتنا وغرّنا سترك علينا، وأطمعنا في عفوك برّك بنا، فمن عذابك إن عذبتنا من يستنفذنا؟! وبحبل من نعتصم إن قطع حبلك عنا؟ وا خجلتنا من الوقوف غداً بين يديك، وا فضيحتنا إن عُرضت أعمالنا القبيحة عليك، اللهم اغفر ما علمت، ولا تهتك ما سترت، إلهي! إن كنا عصيناك بجهل، فقد دعوناك بعقل، حيث علمنا أن لنا ربّاً يغفر الذنوب ولا يبالى ".

يارب...

أَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ وَذُلِّي أَنْ تَرْحَمَنِي، وَأَسْأَلُكَ بِقُوَّتِكَ وَضَعْفِي، وَبِغِنَاكَ عَنِّي وَفَقْرِي إِلَيْكَ، هَذِهِ نَاصِيَّتِي الْكَاذِبَةُ الْخَاطِئَةُ بَيْنَ يَدَيْكَ عَيْبُكَ سِوَايَ كَثِيرٍ وَلَيْسَ لِي سِيّدٌ سِوَاكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمُسْكِينِ وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْخَاضِعِ الدَّلِيلِ وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ سُؤَالَ مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ، وَفَاضَتْ لَكَ عَيْنَاهُ، وَذَلَّ لَكَ قَلْبُهُ، إِلَّا غَفَرْتَ لِي وَرَحِمْتَنِي.

الدعاء للمسلمين:

إذا نظر المسلم إلى أحوال إخوانه المسلمين وجدها أحوالاً متفاوتة، وكل واحد منهم بحاجة إلى دعاء إخوانه.

الدعاء للمريض:

هناك من الناس من يعاني من المرض ويكابد آلامه، ولربما يكون قد أمضى في مرضه الأسابيع العديدة أو الشهور الطويلة، وقد لا يغمض له جفن، ولا يهدأ له بال في آلام متعبة وأوجاع مؤلمة، فهو بحاجة إلى دعاء إخوانه المسلمين له بأن يشفي الله مرضه، ويزيل بأسه، ويفرج همّه، ويكشف كربّه، ويلبسه ثوب الصحة والعافية.

أخرج أبو داود والترمذي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: " مَنْ عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال: عنده سبع مرّات: أسأل الله العظيم، ربّ العرش العظيم، أن يشفيك، إلّا عافاه الله من ذلك المرض ". (صحيح الجامع: ٦٣٨٨)

وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: " كان رسول الله ﷺ إذا أتى المريض يدعو له قال: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهَبِ الْبَاسَ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يَغَادِرُ سُقْمًا ".

الدعاء للميت:

ومن المسلمين من اخترمته المنية وأدركه الموت، فهو في قبره محتجّز، وبأعماله مرتّهن، وبما قدّمت يده مجزي، فهو بحاجة إلى دعاء إخوانه المسلمين بأن يُقِيلَ الله عثرته، ويغفر زلّته، ويتجاوز عن خطيئته.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه **صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ، وَاعْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالتَّلَجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. قَالَ: حَتَّى تَمَنِّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ .**

وأخرج أبو داود عن واثلة بن الأسقع الليثي رضي الله عنه **قال: قال رسول الله ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانًا بَنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ، فَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ - وفي رواية: فِي ذِمَّتِكَ وَحَبْلَ جَوَارِكَ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَمْدِ، اللَّهُمَّ فَاعْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ."** (صحيح أبي داود: ٣٢٠٢)

وأخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه **قال: قال رسول الله ﷺ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ ."** (صحيح أبي داود: ٣٢٠١)

الدعاء للفقراء والمساكين وأصحاب الحاجات:

ومن المسلمين من أرقهم الفقر، وأقعدتهم الحاجة، فمنهم من قد لا يجد لباساً يواريه، أو مسكناً يؤويه، أو طعاماً يُشبعه ويغذيه، أو شارباً يرويه، بل منهم من أدركه حتفه في مجاعات مهلكة، وقحطٍ مفعج، فهم بحاجة إلى دعوات صادقة بأن يغني الله فقيرهم، ويُسبِغَ جائعهم، ويكسو عاريهم، ويسد حاجتهم، ويكشف فاقتهم، وذلك كله من منطلق الرابطة الإيمانية التي تجمعهم وتؤلف بينهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٠)، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (سورة التوبة: ٧١)، وفي الحديث يقول ﷺ: **"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ."** (رواه البخاري ومسلم)

وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه **قال: قال رسول الله ﷺ: "المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله ."**

دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب:

المؤمن لا ينسى إخوانه المسلمين في كل مكان، وفي أي زمان، فتراه يدعو لهم بظهر الغيب، حتى يجد من يدعو له بعد مماته، والجزاء من جنس العمل.

قال الله تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

(سورة نوح: ٢٨)

وقال تعالى إخباراً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (إبراهيم: ٤١)

وقال تعالى آمراً نبيه محمداً ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (سورة محمد: ١٩)

وقال تعالى عن عباده المؤمنين الذين جاعوا من بعد الصحابة: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (سورة الحشر: ١٠)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فالأمر الذي كان معروفاً بين المسلمين في القرون المفضلة أنهم كانوا يعبدون الله بأنواع العبادات المشروعة فرضها ونفلها من الصلاة والصيام والقراءة والذكر وغير ذلك، وكانوا يدعون للمؤمنين والمؤمنات كما أمر الله بذلك لأحيائهم وأمواتهم في صلاة الجنازة وعند زيارة القبور وغير ذلك، وروي عن طائفة من السلف: عند كل ختمة دعوة مستجابة، فإذا دعا الرجل عُقِيب الختم لنفسه ولوالديه ولمشائخه وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات كان هذا من جنس المشروع، وكذلك دعاؤه لهم في قيام الليل وغير ذلك من مواطن الإجابة". (مجموع الفتاوى: ٣٢٢/٢٤)

• دعوة المسلم لأخيه أو إخوانه المسلمين بظهر الغيب مستجابة.

أخرج البزار من حديث عمران بن حصين ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "دُعَاءُ الْأَخِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ

لَا يُرَدُّ". (صحيح الجامع: ٣٣٧٩) (الصحيحة: ١٣٣٩)

وأخرج الإمام مسلم عن أمِّ الدرداء -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: "دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ

لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ... الحديث".

• ووكل الله تعالى ملكاً عند رأس الداعي كلما دعا لأخيه بخير قال الملك: "آمين ولك بمثله".

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي الدرداء ؓ أنه سمع رسول الله يقول: "ما من عبدٍ مسلمٍ يدعو لأخيه

بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل".

وفي رواية أخرى في صحيح مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِهِ".

قال النووي -رحمه الله- في شرحه لهذا الحديث: "وفي هذا فضلُ الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولو دعا لجماعةٍ من المسلمين حصلت هذه الفضيلة، ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضاً، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة؛ لأنها تُستجابُ ويحصلُ له مثُلها". (شرح صحيح مسلم: ٤٩/١٧)

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "إِنِّي لَأَدْعُو لِسَبْعِينَ مِنْ إِخْوَانِي وَأَنَا سَاجِدٌ".

وفي رواية عند البيهقي في السنن الكبرى وفي شعب الإيمان أن أبا الدرداء رضي الله عنه قال: "إِنِّي لَأَدْعُو لثَلَاثِينَ مِنْ إِخْوَانِي وَأَنَا سَاجِدٌ أَسْمِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ".

وكان أنس رضي الله عنه إذا دعا لأخيه يقول: "جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ صَلَاةَ قَوْمِ أِبْرَارٍ، لَيْسُوا بِظُلْمَةٍ وَلَا فَجَارٍ، يَقُومُونَ اللَّيْلَ، وَيَصُومُونَ النَّهَارَ". (رواه عبد بن حميد وصححه الألباني في الصحيحة: ١٦١٠)

يدعو أنس رضي الله عنه لأخيه بهذا الدعاء ليقول له الملك: ولك بمثل.

وروى البيهقي في "شعب الإيمان" عن عبد الله بن المبارك -رحمه الله- أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَتَمَ الْقُرْآنَ أَكْثَرَ دَعَاةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ. (شعب الإيمان: ٤١١/٢)

وقد روى عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج قال: قُلْتُ لِعَطَاءٍ: أَسْتَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْوَاجِبَ عَلَى النَّاسِ، قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿اسْتَغْفِرْ لِدُنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، قُلْتُ: أَفْتَدَعُ ذَلِكَ فِي الْمَكْتُوبَةِ أَبَدًا؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَبِمَنْ تَبْدَأُ، بِنَفْسِكَ أَمْ بِالْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: بَلْ بِنَفْسِي، كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

الدعاء لمن أراد سفراً:

أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ إذا ودّع رجلاً أخذ بيده، فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده ويقول: أستودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك". (صحيح الجامع: ٤٧٩٥) (صحيح سنن الترمذي: ٢٧٣٨)

وأخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إنني أريد سفراً فزودني. قال: "زودك الله التقوى"، قال: زدني، قال: "وغفر ذنبك"، قال: زدني بأبي أنت وأمي. قال: "ويسر لك الخير حيثما كنت". (صحيح الترمذي: ٣٤٤٤)

الدعاء لمن أحسن إليك:

ويستحب للمسلم أن يدعو لمن أحسن إليه، ولا سيما قول جزاك الله خيراً، فإنها أبلغ ما يكون في الدعاء، لما ثبت في مسند الإمام أحمد عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: "من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه".

وعند الترمذي من حديث أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "من صنع إليكم معروفاً فقال لفاعله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء".

وبعد...

فهذا آخر ما تيسّر جمعه في هذه الرسالة.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يَكْتُبَ لَهَا الْقَبُولَ، وَأَنْ يَقْبَلَهَا مِنِّي بِقَبُولِ حَسَنٍ، كَمَا أَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَنْفَعَهَا بِهَا مُؤَلَّفَهَا وَقَارِئَهَا، وَمَنْ أَعَانَ عَلَى إِخْرَاجِهَا وَنَشْرِهَا.....إِنَّهُ وَلِي ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

هَذَا وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ صَوَابٍ فَمِنْ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَمَا كَانَ مِنْ سَهْوٍ أَوْ خَطَأٍ أَوْ نَسْيَانٍ فَمِنِّي وَمِنْ الشَّيْطَانِ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُ بَرَاءٌ، وَهَذَا شَأْنٌ أَيْ عَمَلٌ بَشَرِي فَإِنَّهُ يَعْتَرِيهِ الْخَطَأُ وَالصَّوَابُ، فَإِنْ كَانَ صَوَابًا فَادْعُ لِي بِالْقَبُولِ وَالتَّوْفِيقِ، وَإِنْ كَانَ ثَمَّ خَطَأً فَاسْتَغْفِرْ لِي:

وَأِنْ وَجَدْتَ الْعَيْبَ فَسُدِ الْخُلَا جَلِّ مِنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

فَاللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا وَلَوْجْهَكَ خَالِصًا، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ نَصِيبًا

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

هَذَا وَاللَّهُ - تَعَالَى - أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ